التوضيح

في شرح أذكار التسبيح

تأليف

العلامة عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تسبح له السموات السبع والأرض، وتخضع لهيبة جلاله الكائنات في الدنيا ويوم العرض، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنزه عن التشبيه والتعطيل، وتقدس عن النظير والمثيل، واتصف بالكمال وكل وصف جميل.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أفضل من سبح لله وحمّده، وكبّره ومجده، من سبحت في كفه الحصى، والشفيع المشفع لمن خالف ربه وعصى، ذو المواهب التي لا تحد ولاتستقصى، والمعجزات التي لا تعد ولا تحصى، صاحب التاج والإكليل، والحوض واللواء والكوثر والشراب السلسبيل .

فصلوات الله وأزكى تسليماته على هذا النبي الكريم، والسيد السند الفخيم، وعلى آله وأصحابه الفائزين باقتفاء نهجه القويم، وصراطه المستقيم، ما سبح لله المسبحون، وحمده الحامدون، وهلل له الموحدون، وتلذذ بذكره العابدون .

أما بعد: فيقول ذو العجز والتقصير، أفقر الورى إلى جزيل عطاء مولاه القدير، عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود: هذا تعليق لطيف، وشرح وجيز، على الأوراد المسماة بالتسبيح التى جمعها الإمام سيدي ومولاي عبد الرحمن بن محمود قدس الله سره، ولقد طالما تردد في نفسي الخدمة لهذه الأوراد بإيضاح خفياتها، وتخريج أحاديثها، وتهذيبها عما عسى أن يتطرق إليها من تحريف وتغيير، فمضى على ذلك برهة من الزمان، ثم التمس مني من لا تسعني مخالفته القيامَ لهذا الشأن، فصممت العزم وفوضت الأمر إلى

رب البريات، ومانح العطيات، وإن لم أكن أهلا لذلك لقصور باعي عن الخوض في هذا البحر المتلاطم، وضعف قوتي العلمية عن افتضاض أبكار العلوم الواضحة الجلية، فضلا عن دقائقها الخفية، ومع تكاتف الهموم وتوالي العوارض .

لكنني أرتجي أن يَمُنَّ عليّ ذو الجود والكرم، ومعطي الهبات والنعم، بمعونة من لدنه، وتيسير من عنده، فإنه سميع قريب يجيب من دعاه ولا يخيب من ارتجاه، وآمل أن يلحقني من المؤلِف لفتة ناظره، أوفلتة خاطره، ويدركني من نفحاته ما يؤهلني أن أقعد في بساط خدامه، وساحة فيضان أنواره، فأكون معدودا من جملة ضيوفه وطالبي هباته، فإنه لا يشقى جليس أمثاله، بل يحتظي ببلوغ آماله ونِهاية أمنيّاته، ورحم الله امرء أصلح بعد التثبت الخلل، وأسبل ثوب الستر على الزلل، وأغمض عن العثرات والهفوات، وأستعيذ بالله من شر حاسد، وكيد شاحن، وشماتة عدو ماكر، وصولة جبار مارد، وأتبرأ من حولي وقوتي، وعلى فضل المولى وإحسانه اتكالي واعتمادي، وبه أستعين في إنجاز ما قصدته، وإتمام ما رمته ونويته، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

مقدمة

ألتزم إن شاء الله أن أذكر في الغالب أسماء الكتب والمشايخ الذين نقلت عنهم ليسهل الرجوع إليها لمن أرادها، وتحصل الثقة والتحقيق لأهل البحث والتيقن، ولأن في عزو العلوم وإضافتها إلى من أخذت عنه بركة وأمانة، ورعاية حقهم واحترامهم، فقد قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه بستان العارفين: ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهم فيما يأخذ من كلام غيره أنه له فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه، ولا يبارك له في حاله، ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها اه بلفظه، وقد أغفل عن ذلك في بعض المواضع، فإني من الإنسان والإنسان لا يؤاخذ بالنسيان .

واعلم أن في نسخ التسبيح اختلافا في النقص والزيادة، وفي ألسنة قارئيها تباينا وتفاوتا، فاعتمدت على نسخة كتبها بيده قبل خمسين سنة ونيف الشيخ محمد بن أحمد بن علسو؛ لكونه ثقة معروفا بالأمانة، وكان تلميذا لعمه العارف بالله الشيخ داود بن علسو، وتلميذا للعالم الرباني سيدي الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه أيضا، وكانت له الرحلة في طلب العلوم، مشتهورا بالورع وحب الأولياء والصالحين، فأرجو أن تكون نسخته أرجح ما رأيت، وأنّها في غاية التحقيق والإتقان، وأُنَبِّهُ إن شاء الله بعض ما في النسخ الأخرى، وبعض ما سمعته من قائدي حضرة التسبيح.

تنبيهان

الأول اعلم أن عادة أهل هذه الطريقة الرحمانية في إحياء ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس أن يلزموا مجلس صلاتهم، ويقرأوا بعد تمام أذكارها بلسان واحد الأوراد المسماة: مرحبا ثم يصطفون ويبدأ واحد منهم يسمى باصطلاحهمالقائد التسبيح من أولها، ثم يتناوب الصفان بصيغ التسبيح الآتية على الوجه الآتي إن شاء الله، يقول هذا الصف مثلا سبحان الله وبحمده ويسكت، ثم يقولها الصف المقابل له ويسكت وهكذا إلى آخرها، وكثير من الإخوان يقتصرون في هذا الوقت على التسبيح فقط، ويتساهلون بالأوراد المسماة: مرحبا، وليست جديرة بالاستخفاف والتساهل، خصوصا في هذا الزمان الذي قلّ فيه الأمن والإطمئنان، وكثر فيه الجور والطغيان، فيحتاج إلى ما يحفظ مهجة الإنسان، إذ فيها لمن واظبها الوقاية من دواهي الدنيا وعقاب العقبى، فهي تضمن بإذن الله النجاة من الآفات، والوقاية من الهلكات، وفيها ما يقمع الشيطان، ويوصل الغفران، وما يدفع شر العائن وسموم الهوام، فبالجملة إنها الحصن الحصين، والحرز الثمين، وقد كان أصحاب العناية من أهل هذه الطريقة يقرأون التسبيح أيضا بعد صلاة العصر وقبل الغروب عملا بما تقتضيه الأدلة الآتية، سمعت من سيدي الشيخ أحمد بن الشيخ داود رحمه الله أن جماعة سيدي الشيخ علي ميه وجماعة سيدي بدر الدين الشيخ محمد كانوا لا يتركون التسبيح بعد العصر أبدا اهـ.

الثاني: ورد أن الإحياء ما بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس بالطاعات أجرا كبيرا، وفضلا عظيما، وهو كما قال النووي، أشرف أوقات الذكر في

النهار. وقال الغزالي في الإحياء: ويدل على فضله وشرفه إقسام الله تعالى به إذ قال: {**والصبح إذا تنفس**} وتمدح به إذ قال: {**فالق الإصباح**} وقال تعالى: {**قل أعوذ برب الفلق**} وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس. قال تعالى: {**ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا**} .

١- وروى عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسنا، قال الحافظ المنذري: رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني. قوله: تربع جلس متربعا، وقوله: حسنا أي طلوعا حسنا .

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تامة تامة تامة رواه الترمذي وقال: حديث حسن .

٣- وعن حسن بن علي رضي الله عنه قال: سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد يصلى صلاة الصبح ثم يجلس يذكر الله حتى تطلع الشمس إلا كان ذلك حجابا من النار قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

٤- وعن معاذ بن أنس قال: قال رسو الله صلى الله عليه وسلم: من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة قال الهيثمي: رواه أبو يعلى.

٥- وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى

يسبح ركعتي الضحى، لا يقول إلا خيرا غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر قال الحافظ المنذري: رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى. قوله: يسبح أي يصلي، والزبد: الرغوة.

٦- وعن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى صلاة الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده جيد.

٧- وعن أبي أمامة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لأن أقعد أذكر الله وأكبّره وأحمده وأسبّحه وأهلّله حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أن أعتق رقبتين من ولد إسماعيل، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقبات من ولد إسماعيل وفي رواية لأن أذكر الله إلى طلوع الشمس أكبّر وأهلل وأسبح أحب إليّ من أن أعتق أربعا من ولد إسماعيل؛ ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل قال الهيثمي: رواه كله أحمد والطبراني بنحو الرواية الثانية وأسانيده حسنة .

٨- وعن عمرة رضي الله عنها قالت: سمعت أم المؤمنين-تعني عائشة رضي الله عنها- تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صلى الفجر أو قال: الغداة، فقعد في مقعده فلم يلغ بشيء من أمر الدنيا، ويذكر الله حتى يصلى الضحى أربع ركعات، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، لا ذنب له قال الحافظ المنذري: رواه أبو يعلى واللفظ له، والطبراني، وقال الهيثمي: رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الطيب بن سليمان، وثقه ابن حبان وضعفه الدارقطني، قوله: فلم يلغ من اللغو أي لم يحدث

كلاما لا فائدة فيه، قاله مصطفى محمد عمارة في شرحه على الترغيب والترهيب للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري الشافعي.

٩- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، دية كل رجل منهم إثنا عشر ألفا، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، دية كل واحد منهم إثنا عشر ألفا قال الهيثمي: ورواه أبو داود باختصار، ورواه أبو يعلى، وقال العزيزي في شرح جامع الصغير: إسناده حسن .

١٠- وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لأن أشهد الصبح ثم أجلس فأذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله حتى تطلع الشمس قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

١١- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إليّ من الدنيا وما فيها؛ ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليّ من الدنيا وما فيها قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه البيهقي في شعب الإيمان. وقال العزيزي في شرحه: إسناده حسن اهـ.

١٢. وعن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه قال: من صلى الفجر ثم ذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين أو أربع ركعات لم تمس جلده النار وأخذ الحسن بجلده فمده، قال الحافظ المنذري: رواه البيهقي .

وما ورد في الحث على الأذكار في هذا الوقت كثير جدا، فنقتصر على ما ذكرناه، ويأتي أيضا بعض منه إن شاء الله، وأما الأذكار الواردة فيه فكثيرة أيضا، ذكر المؤلف رحمه الله تعالى طرفا منها في أوراده المسماة (مرحبا) ويأتي له في كتابنا هذا جملة أخرى، وأذكر هنا قليلا منها .

١. روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى وقال: حديث حسن.

٢- وروى النسائي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال غدوة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، وكان له قدر عشر رقاب، وأجاره الله من الشيطان، ومن قالها عشية مثل ذلك. ورواه أيضا ابن حبان وصححه .

٣- وروى أبو داود عن مسلم بن حارث التميمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسر إليه فقال: إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل: اللهم أجرني من النار سبع مرات، فإنك إذا قلت ذلك ثم مت في ليلتك كتب لك جواز منها، وإذا صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت في يومك

كتب لك جواز منها، قال الحارث: أسرها إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نخص بها إخواننا.

أقول: إن هذا الحارث هو أبو راوي الحديث مسلم بن حارث، وقد روى هذا الحديث عن أبيه.

وفي بعض طرق الحديث عند أبي داود زيادة: قبل أن يكلم أحدا .

وأخرج هذا الحديث أيضا كما في شرح الأذكار لابن علان ابن عبد البر وابن مندة وأبو نعيم وابن حبان. وقوله: جواز بالزاي وفتح الجيم كما رأيته في نسخة أبي داود، وفي الأذكار وغيره جوار بالراء المهملة وكسر الجيم.

وروى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلّم ابنته فيقول: قولي حين تصبحين: سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح .

٤- وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي قال وكيع بن جراح: يعني الخسف.

٥- روى الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن الحسن قال: قال سمرة بن جندب: ألا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا، ومن أبي بكر مرارا، ومن عمر مرارا، قلت: بلى، قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: اللهم أنت خلقتني وأنت تهديني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني لم يسأل الله شيأ إلا أعطاه إياه وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: هؤلاء الكلمات كان الله عز وجل قد أعطاهن لموسى عليه السلام، فكان يدعو بهن في كل يوم سبع مرات فلا يسأل الله شيأ إلا أعطاه إياه .

واعلم أن النوم في هذا الوقت مكروه شرعا ويسن إيقاظ من نام فيه.

١. روى عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قالت: مرّ بي رسول الله وأنا مضطجعة متصبحة فحركني برجله ثم قال: يابنية قومي، إشهدي رزق ربك، فلا تكوني من الغافلين، فإن الله عز وجل يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس رواه البيهقي، ورواه أيضا عن علي رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة بعد أن صلى الصبح وهي نائمة فذكر بمعناه .

٢. وروى ابن ماجه من حديث علي قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النوم قبل طلوع الشمس .

٣. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: باكروا الغدو في طلب الرزق، فإن الغدو بركة ونجاح رواه البزار والطبراني في الأوسط ذكر هذه الأحاديث الثلاثةَ المنذري في الترغيب

والترهيب والذي في نسخة مجمع الزوائد في هذا الحديث: باكروا طلب الرزق بدون لفظ الغدو .

٤. وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله: نوم الصبحة يمنع الرزق قال المنذري: رواه أحمد والبيهقي وغيرهما.

وفي مجمع الزوائد ما لفظه عن عثمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصبحة تمنع الزرق رواه أحمد وفي سنده ضعيف.

وفي القاموس: الصبحة بالضم نوم الغداة .

٥. وعن قيس بن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقد صليت صلاة الصبح واضطجعت، فضربني برجله وقال: ألا أدلك على كنْز من كنوز الجنة قال: لاحول ولا قوة إلا بالله رواه البزار اهـ .

٦. وعن عبد الله بن عمرو أنه مر على رجل بعد صلاة الصبح وهو نائم، فحركه برجله حتى استيقظ فقال: أما علمت أن الله تعالى يطلع في هذه الساعة إلى خلقه، فيدخل ثلة منهم الجنة برحمته. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورواه أيضا أبو نعيم في الحلية. والثلة: الجماعة .

وقال شقيق البلخي: ثلاثة من النوم يبغضها الله، وثلاثة من الضحك، النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العشاء وعند مجلس الذكر، والضحك خلف الجنازة، والضحك في المقابر، والضحك في مجلس الذكر . وقال السهروردي: في ترك النوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير، والسكوت فيه له أثر ظاهر يجده أرباب القلوب .

(ص) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله.

(ش) إبتدأ المصنف رحمه الله بالبسملة اقتداء بكتاب الله العزيز، وعملا بحديث: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع والكلام على البسملة مشهور.

قول المصنف اللهم إني أقدم إليك إلى قوله: بين يدي ذلك كله رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ويسميه أهل الطريقة الأحمدية بالمقدمة مرة، وفاتحة الأوراد مرة أخرى .

وقال سيدي محمد اليمني حفيد سيدي أحمد بن إدريس في رسالة الأوراد: وينبغي لك أن تواظب هذه المقدمة عند أول كل عمل، سواء كان قوليا أو فعليا؛ لأنّها تضاعف العمل، وقد رواها الترمذي الحكيم في نوادر الأصول. وقال: من أنفع الأوراد ذكر عظيم علمه الله لموسى عليه السلام، قال الله لموسى عليه السلام: ياموسى قل بعد الصلاة: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بِها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله، وتقرأ آية الكرسي، فينبغي أن يستصحب الإنسان هذه المقدمة في جميع أعماله، فلا تختص بآية الكرسي؛ إذ الحاجة حاصلة إلى تضعيف الثواب. انتهى ما نقلته عن رسالة الأوراد، وذكر العلامة سيدي الشيخ صالح بن محمد الجعفري في المنتقى النفيس أنّها تستعمل أوائل كل عمل، وأن الإمام أبا الحسن الشاذلي ذكرها في حزب البر اهـ

وافتتح بها أوراده شيخ الطريقة الأحمدية صاحب المفاخر العلية، والمآثر السنية، الإمام سيدي الشفا أبو محمد أحمد بن إدريس قدس الله سره، فذكرها في أول المحامد الثمانية والأحزاب الخمسة والحصون المنيعة والنفحات الإلهية وغيرها.

وقال في أول النفحات: إنها فاتحة الأوراد كلها .

وفي حاشية العلامة العارف بالله الصاوي على تفسير الجلالين ما لفظه: ورد أنه نزل جبريل على موسى وقال له: ربك يقول لك: من قال عقب كل صلاة اللهم إني أقدم بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله، الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس منها ساعة إلا ويصعد إلى الله منه فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور اهـ.

أقول هذا ما في النسخة التي اعتمدت عليها، وفي نسخ أخرى أن أول التسبيح هو قال الله تعالى: {**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**}، اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد، وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين، ثم المقدمة، وعلى ما في هذه النسخ أطبق عليه قائدو التسبيح فيما علمت والعلم في أصحهما عند الله تعالى .

تنبيه: علم مما تقدم أهمية فاتحة الأوراد في أول جميع الأعمال والطاعات الفعلية والقولية، فعليك بها؛ فإنه يتضاعف بها إن شاء الله ثواب الأعمال الصالحة مضاعفة لا يحصيها إلا الله، ولا يحيط بها إلا اللطيف الخبير، فمن

يستطيع أن يعلم عدد الأنفاس واللمحات، وعدد كل طرفة يطرف بها أهل الأرض والسموات، أو يطرف غيرهما من كل ما كان في علمه تعالى أو يكون من سائر الكائنات، فاغترف من هذه البحور الزاخرات، واغتنم بهذه النفحات والبركات، واقتطف من هذه الفواكه التي ليست في وقت من الأوقات معدومة ولا مقطوعة، ولا بسبب ثمن وعوض ممنوعة، بل هي لكل من أرادها مسموحة، ولكل راغب فيها ممنوحة، وأبوابها لكل داخل مفتوحة، وقد كان أهل العناية والفطنة يهتمون بتكثير الأجور بذكر الأعداد ونحوها مما يفيد التكرار والتضعيف، ألاترى ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في تلبيته: لبيك عدد التراب، وإمامنا الشافعي رحمه الله كان يقول: اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون، وسيأتي إن شاء الله في شرح حديث جويرية رضي الله عنها أن الثواب يتضاعف بذكر الأعداد .

دقيقة: جرى عمل أهل التسبيح أن يقرأ القائد المقدمة والآيات والأحاديث الآتية، ويستمع بذلك الحاضرون ولا يقولون شيأ إلى سبحان الله وبحمده الآتية، والظاهر أنه ينبغي للمجتمعين لقراءة التسبيح أن يبتدئ كل منهم سرا بالمقدمة؛ ليتضاعف لهم الثواب أيضا كالقائد، ولا يكتفوا بالإستماع وحده. قوله: ولمحة في القاموس: لمح إليه اختلس النظر. وفي المختار لمحه: أبصره بنظر خفيف اهـ

وقوله: وطرفة يطرف في المختار طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، وطرفة مصدر مرة يقال: أسرع من طرفة عين والطرف العين، قال الله تعالى: {**لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**} وقوله اللهم صل

وسلم إلخ: الذي في بعض النسخ قال سيدي محمد اليمني في رسالة الأوراد الإدريسية: هذه الصلاة قيل: يصلي بها المهدي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

(ص) **قال الله تعالى {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا}**

(ش) قوله: {**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**} قال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي في تفسير هذه الآية: أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهلّلونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا، من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء اهـ بلفظه .

أمرنا الجليل جل جلاله في هذه الآية بحبس نفوسنا مع من يعبده بالغداة والعشي مع الإخلاص في ذلك وإرادة وجهه، ونهانا عن مجاوزتهم لأجل زينة الحياة الدنيا، ونهانا عن الانقياد لمن أغفل الله قلبه عن ذكره؛ فإنه ليس له الصبر وحبس النفس مع من يعبد ربه ويذكره، ونهانا عن الاستسلام لمن اتبع هواه وكان أمره ضياعا لوقته، وهلاكا لمهجته؛ فإنه يدعو إلى وصفه ومثل سيرته، ويجر إلى سوء صنيعه ودنيء حاله، وينادي إلى مخالفة الجليل والإعراض عن أمره، وينهى عن الاقتداء والاتباع لسيد الأولين والآخرين، حبيب رب العالمين، صلى الله عليه وسلم .

ولا يخفى على لبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حيا فينا، ورأى حلق التسبيح لم يجاوزها بل قعد فيها امتثالا لأمر مولاه جل وعلا في

هذه الآية، أفتجاوز أنت يا قليل الحياء حلقة كان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لايتركها ولا تعدو عيناه عنها، أما علمت أنه عليه الصلاة والسلام شبه حلق الذاكرين برياض الجنة وأمر برتعها، فهل تسمح لك النفس أن ترى إمام الكون صلى الله عليه وسلم في هذه الرياض ثم لا تشتاق وتحنّ إليها كلا، بل إن الأفئدة الطاهرة والقلوب الصافية تطير فرحا إلى مثل هذه الحضرة، وتعكف بكل اطمئنان وسرور على هذه الحلقة، فهي مهبط البركات، ومحل الرحمات، ومأوى الخيرات، فلا يليق لذي عقل سليم ورأي سديد، أن يعرض عن حلق التسبيح ويرغب عن مجالسها، ويتعامى عن سواطع أنوارها ولوامع أضوائها .

فانظر رحمك الله مناسبة هذه الآية لأول التسبيح، ففيها قمع النفوس واجبارها على ترك نحو الكسل وراحة النوم، وفيها فضيلة التعاون على العبادة، والبر والتقوى، وفيها الإشارة إلى أن لوقتي التسبيح شرفا عظيما وشأنا كبيرا يختص بهما، وفيها الإخلاص وهو أعظم أركان الطاعات كلها، وفيها غير ذلك من الفوائد والمهمات التي تنير الطريق لأصحاب التسبيح وأولي العبادات، فلا أظن أن في القرآن كله آية أكثر مناسبة لهذا المحل من هذه الآية، فرحم الله المؤلف وجزاه عن المسلمين خيرا .

وقول الله تبارك وتعالى: {**بالغداة والعشي**}: قال الإمام الحافظ محرر المذهب الشافعي أبوزكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى: قال أهل اللغة: العشي ما بين زوال الشمس وغروبها اهـ.

وقال الأزهري: مثل ذلك، ثم قال: وصلاتا العشي هما الظهر والعصر، وقيل: العشي من المغرب إلى العتمة، وقيل: من زوال الشمس إلى الصباح.

وفي القاموس العشي والعشية آخر النهار. فالأقوال في تفسير العشي أربع أرجحها الأول والله أعلم.

والغداة كما في القاموس واللسان والمختار ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

واعلم أنه قد جاء في الحث على التسبيح في هذين الوقتين آيات كثيرة، قال الله تعالى: {**واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار**}. وقال تعالى: {**فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا**} وقال تعالى: {**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى**}. وقال تعالى: {**يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**}. وقال تعالى: {**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**}. وقال تعالى: {**ياءيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا**}. وقال تعالى: {**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق**} وقال تعالى: {**فاصبر إن وعد الله حق**}الآية. وقال تعالى: {**ليؤمنوا بالله ورسوله**} الآية. وقال تعالى: {**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**}.

فهذه عشر آيات أمر فيها المولى جل جلاله التسبيح في الصباح والمساء وفي ذلك اقتناع لمن تدبر وفكر، وفيه الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولقد أحسن القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حيا   ولكن لا حياة لمن تنادي

فجيهلا أيّها العاقل السامع إلى مجالس التسبيح ومواضع ذكر الله تعالى، واستجب نداء مولاك بالتلبية وحسن الإقبال، وكن سريع الامتثال لأمر الكبير المتعال، وقد جاء في تسبيح الغداة فقط قوله تعالى {**وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**} وجاء في الذكر المطلق في هذين الوقتين قوله تعالى {**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين**} وقوله تعالى: {**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا**} .

ونَهى الله سبحانه عن الكراهية والبغض لمن يعبد ربه في هذين الوقتين، وجعل من طردهم معدودا من جملة الظالمين، فقال تعالى: {**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**} الآية. والإبكار مابين طلوع الفجر إلى صلاة الضحى، انتهى من ابن علان نقلا عن زاد المسير، والبكرة بالضم الغدوة والآصال جمع أصيل، وهو ما بين العصر والمغرب، والمراد من الصباح والمساء أوائل النهار وأواخره، أو أوائل الليل كما حققه الهيتمي في شرح المشكاة، وسبقه إلى ذلك ابن الجزري والرداد، فالمراد من الصباح في لسان الشرع من طلوع الفجر إلى صلاة الضحى تقريبا، ومن المساء من بعد صلاة العصر إلى أن يمضي نحو ثلث الليل .

تنبيه: اعلم أن الاجتماع على ذكر الله تعالى أفضل وأحب إلى الله من الإنفراد فيه، قال الله تعالى: {**وتعاونوا على البر والتقوى**} .

١. روى الطبراني عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته {**واصبر نفسك مع الذين**

يدعون ربهم بالغداة والعشي} الآية فخرج يلتمسهم، فوجد قوما يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم اهـ من تفسير ابن كثير .

٢. وفي الترغيب والترهيب للحافظ المنذري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم، ثم تلا هذه الآية: {**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**} إلى قوله: {**وكان أمره فرطا**}، أما إنه ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة، إن سبحوا الله سبحوه، وإن حمدوا الله حمدوه وإن كبروا الله كبروه، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه وهو أعلم بهم، فيقولون: ياربنا عبادك سبحوك فسبحنا وكبروك فكبرنا وحمدوك فحمدنا، فيقول ربنا جل جلاله يا ملائكتي أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقولون: فيهم فلان وفلان الخطاء، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم رواه الطبراني في الصغير .

٣. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة رواه أحمد بإسناد حسن .

٤. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة، قال: حلق الذكر، رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب .

٥. وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

٦. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، فقيل: من أهل الكرم يارسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر رواه أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرهم .

٧. وعن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ياأيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه أنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه رواه ابن أبي الدنيا والحاكم والبيهقي وغيرهم وهو حديث حسن.

٨. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا

ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وغيرهم .

٩. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت: يارسول الله ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنة رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

١٠. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا، والله يارب ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا، قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يارب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فبم يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم رواه البخاري واللفظ له ورواه مسلم اهـ ما نقلته عن الترغيب والترهيب .

قال شيخ الإسلام الحافظ العسقلاني في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث: وفي حديث أنس عند البزار: ويعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، ثم قال: ويؤخذ من مجموع طرق هذا الحديث أن المراد بمجالس الذكر هي التي تشتمل على ذكر الله بأنواعه الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه، وعلى دعائه بخيري الدنيا والآخرة، وفي دخول قراءة الحديث النبوي، ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته، والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت ذكر الله تعالى اهـ بحذف يسير .

قال ابن علان في شرح الأذكار بعد نقله عبارة فتح الباري: أفاد الحافظ العسقلاني أن ما ذكر من قرآءة الحديث وما بعده يطلق عليه ذكر الله ولا يطلق عليه لفظ الذكر من غير إضافة اهـ

أقول: فحينئذ الفوائد التي ذكرت في حديث أبي هريرة تختص بمجالس التسبيح ونحوه دون سائر الطاعات؛ لأن لفظ الحديث يلتمسون أهل الذكر بدون إضافة، لكن الإمام النووي رحمه الله قال في الأذكار : قال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا اهـ.

وقال ابن علان: قال ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: مجالس الذكر مجالس سائر الطاعات. وقال القرطبي: مجالس الذكر هي المجالس التي يذكر فيها كلام الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار السلف

الصالحين، وكلام أئمة الزهاد المتقدمين، المبرأة عن التصنع والبدع، والمنزهة عن المقاصد الرديئة والطمع. قال الإمام النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث فضلية الذكر وفضلية مجالسه، والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم، وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم.

وقال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره: إن النظر في وجوه المؤمنين يزيد في الإيمان اهـ من الإبريز لسيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ .

وقال الحافظ في الفتح في أواخر الكلام على هذا الحديث: وفي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر اهـ بلفظه.

وقال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: وفي هذا الحديث ترغيب في مخالطة أهل الذكر، قال الله تعالى: {**ياءيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**}.

وقال بعض العارفين: اصحبوا مع الله فإن لم تقدروا فاصحبوا مع من يصحب مع الله اهـ.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج٦ص١٩٩ أن عبد الواحد بن زيد قال لأبي بشر حوشب بن مسلم البصري: إن قدمت على ربك قبلنا فقدرت على أن تخبرنا بالذي صرت إليه فافعل، قال: فمات حوشب قبل عبد الواحد بزمان، قال عبد الواحد: ثم رأيته في منامي فقلت: يا أبابشر ألم تعدنا أن تأتينا؟ قال: بلى، فقلت: كيف حالكم؟ فقال: نجونا بعفو الله، قال: قلت:

فالحسن؟ قال: ذاك في عليين، قلت: فما الذي تأمرنا به؟ عليكم بمجالس الذكر وحسن الظن بمولاك وكفاك بهما خيرا اهـ.

والمراد بالحسن هنا البصري التابعي الجليل، وكان حوشب من تلامذته، فإذا علمت ذلك فالزم رعاك الله حلق التسبيح والأذكار، خصوصا في المساء والإبكار، وإن كنت لا تحسن ما يقولون فكن معهم في مجلسهم، فإنك تكون غدا معهم إن شاء الله في دار الهناء ومنزل الأبرار، وإذا لم تجد تلك المجالس بسهولة فاجتهد في طلبها وابذل كل غال ونفيس في البحث عنها، فإنك لن تستغني عن رفيق يرافقك في الرحلة إلى الله تعالى، ألا ترى أن موسى الكليم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم سأل ربه وزيرا يسبح الله ويذكره معه، فقال تعالى حكاية عنه: {**واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي**} إلى قوله: {**كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا**}، وإن في تسبيح الجبال مع داود صلى الله عليه وسلم لعبرة وعظة، وكما تظاهرت الأدلة على الحث في الاجتماع على ذكر الله تعالى حذرت عن الإعراض عن مواضع الخيرات، ومجالس الطاعات، قال الله تعالى: {**ولا تعد عيناك عنهم**} وقال تعالى: {**فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة**} .

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مسجده والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل إثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما فرآى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا

أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهما فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيي فاستحيي الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه، وقال الإمام النووي في شرح هذا الحديث في صحيح مسلم: في هذا الحديث كراهية الانصراف عن حلق الذكر والعلم.

وقال النووي أيضا: ومعنى آوى إلى الله أي لجأ إليه أو دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجمع أوليائه، ومعنى آواه الله أي قبله وقربه، وقيل: رحمه أو آواه إلى جنته .

فينبغي للعاقل إن فاته دخول مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفوته مجلس الأولياء ومجمعهم، كي يحتظي بذلك القبول والقرب من الله ورحمته.

وروى أبو داود بإسناد جيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بالجماعة؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وفي تنبيه المغترين للقطب الشعراني أن داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول: اللهم اجعلني من الذاكرين لك، وإذا رأيتني جاوزت مجلس الذاكرين إلى مجلس الغافلين فاكسر رجلي؛ فإنها نعمة منك عليّ .

واعلم أن هذا التسبيح لا تختص به الطائفة الرحمانية، فإن مأخذه كما مر من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أحاديث سيد الكون صلى الله عليه وسلم كما ستراه إن شاء الله، وما كان كذلك فلا تختص به طائفة من المسلمين دون أخرى، بل هو لكافة المسلمين عامة، فعليك إن ساقتك المقادير الإلهية إلى مجالس تسبيحهم أن تقعد معهم ولا تعدو عيناك عنهم، وأن تذكر ربك مع من يذكره كائنا من

كان، وقد يزعم لك الشيطان كيف تقعد معهم وهم في أوراد طريقتهم، ولك أيضا أوراد وأحزاب، أفتترك أورادك في هذا الوقت لأورادهم، أو كيف تكون معهم ولم يأمرك مشايخك بهذا، ولعلهم لا يرضون بذلك، وإن بينه وبين النفس اتصالا وارتباطا، فكثيرا ما تصدقه في تخييلاته، وليس هذا منه نصيحة فلا يغرنك بتلبيسه، ولا يوهمنك بوساوسه، وإنما مراده أن يطردك عن حظيرة الغفران، كما أخرج هو ملعونا عن نعيم الجنان، وأن يحرك فيك عرق التعصب والطائفية، فهل ترى في حلق التسبيح إلا تنزيه الملك الديان، وتقديس الحنان المنان، وهل ترى فيها ما للشرع عليه اعتراض، أو ما للعلماء فيه اختلاف، كلا، بل هي مستمدة من آيات الله البينات، ومأخوذة من أحاديث سيد الكائنات، فإن اطمأنت إليها نفسك فبذكر الله تطمئن القلوب، وإن رأيت فيها استثقالا فاعلم أنك مخدوع ومغلوب، فهل من قائل بأن تلك الآيات والأحاديث الآمرة بالتسبيح خاصة بطائفة من طوائف الإسلام .

وإياك أن تجاوزهم، فإن فيه الجفاء وقلة الحياء وغلظ الطبع، وقد يورث الشحناء والبغضاء، قال القطب الشعراني في تنبيه المغترين: ومن أخلاق السلف رضي الله عنهم أن يكون أحدهم هينا لينا، ومن جملة لين الفقراء -أي الصوفية- أن أحدهم إذا دخل علي جماعة يذكرون الله تعالى كذكر الأعاجم والمغاربة والرفاعية مثلا أن يذكر معهم كهيئتهم في الصورة بالطريقة الشرعية، وكذلك يوافقهم في ذكرهم الذي لقنوه، ولا يقول: إن هذه الكيفية ليست طريقة شيخنا كما يقع في ذلك كثير من الناس، فيفوتهم الأجر مع وقوعهم في الجفاء وغلظ الطبع فاعلم ذلك واعمل به اهـ.

وأشد من الإعتراض الإعتراض، والوقوع في الأعراض، وقد زلت به أقدام كثير من العباد، عادتُهم الطعن والعناد، والإنْهماك في البهتان والإفساد، فليحذر العاقل عن ذلك فإنه خطير، فإن معاداة الذاكرين تؤدي إلى المقت والحرمان، ومحاربة الملك الديان، فهم أحبابه وأولياؤه، وأهل حضرته وأصفياؤه. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب جعلنا الله ممن يحب أحبابه، وألحقنا بالصالحين من عباده.

(ص) وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمد مائة مرة، كتب الله له مائة ألف حسنة، وأربعا وعشرين ألف حسنة، وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عليكم بقول سبحان الله وبحمده فإنهما القرينتان .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر

(ش) قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة كتب الله له إلخ روى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة أو وجبت له الجنة، ومن قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعا وعشرين ألف حسنة، قالوا: يا رسول الله إذا لا يهلك منا أحد، قال: بلى إن أحدكم ليجيء بالحسنات لو وضعت على جبل

أثقلته، ثم تجيء النعم فتذهب بتلك، ثم يتطاول الرب بعد ذلك برحمته، قال الحاكم صحيح الإسناد .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة، ومن قال: لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله يوم القيامة رواه الطبراني بإسناد فيه نظر كما قال المنذري. وقال الهيثمي: في إسناده النضر بن عبيد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عليكم بقول سبحان الله وبحمده فإنهما القرينتان رواه الحاكم بمعناه في تاريخه بإسناد ضعيف، ولفظه: عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أكثروا من قول القرينتين سبحان الله وبحمده انتهى من الجامع الصغير، وأما لفظ المتن فلم أجده .

وقوله: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة إلخ رواه مسلم والبخاري والترمذي وابن ماجه والحاكم، ولفظ مسلم في صحيحه في الكلام في فضل التهليل والتسبيح والدعاء حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في

يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ولفظ البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .

(ص) وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كان أكثر من زبد البحر

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ألا أخبركم بأحب الكلام، قلنا: يارسول الله أخبرنا بأحب الكلام إلى الله، قال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله .

(ش) قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده حطت خطاياه إلخ. رواه كما قال الحافظ عبد العظيم المنذري النسائي ورواته ثقات، ولفظه من قال: سبحان الله وبحمده حط الله عنه ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر، ولم يقل: في يوم، ولم يقل: مائة مرة هكذا رأيت في الترغيب والترهيب للمنذري.

قوله وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سئل إلخ رواه الإمام مسلم في صحيحه ولفظه في باب فضل سبحان الله وبحمده عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده. قال ابن علان: قال ابن حجر في شرح المشكاة: ولأجل ذلك افتخروا أي الملائكة به على آدم قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.

قوله: وعن أبي ذر رضي الله عنه إلخ رواه مسلم أيضا في باب فضل سبحان الله وبحمده، ولفظه عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده، وفي الجامع الصغير روى أحمد والترمذي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: أحب الكلام أن يقول العبد سبحان الله وبحمده قال الإمام النووي في المجموع: المراد أن هذا يعني سبحان الله وبحمده أحب كلام الآدميين وأفضله لا أنه أفضل من كلام الله اهـ.

قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة فقد اشترى إلخ قال المنذري في الترغيب والترهيب روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله رواه الطبراني في الأوسط والخرائطي والأصبهاني وغيرهم .

وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور وقال: أخرجه ابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق عن ابن عباس .

واعلم أنه سقط من المتن في هذا الحديث لفظ إذا أصبح، وقوله: مائة مرة تحريف فإن الذي كنت أسمعه من ألسنة قائدي التسبيح ورأيته في نسخ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري و مجمع الزوائد للهيثمي و فتح المبين للهيتمي وكشف الغمة للشعراني، وفي نسخ للتسبيح غير هذه: ألف مرة

بدل قوله: مائة مرة، وفيها أيضا إثبات لفظة: إذا أصبح، والعلم عند الله تعالى .

(ص) وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده ألف مرة غرست له بها ألف شجرة في الجنة، أصلها من ذهب وفرعها در، وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد، كلما أخذت منها شيء عادت كما كانت أولا.

سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده

(ش) قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال: سبحان الله وبحمده ألف مرة غرست له إلخ رواه الحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي من حديث أنس، قال الزبيدي في شرح الإحياء: روى الحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي من حديث أنس من قال: سبحان الله وبحمده غرس الله له بها ألف شجرة في الجنة، أصلها من ذهب وفرعها در، وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد، كلما أخذ منه شيء عاد كما كان اهـ بلفظه، ولا يخفى أن بين اللفظين اختلافا يسيرا .

وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سبح الله عز وجل تسبيحة وحمده تحميدة وهلله تهليلة وكبره تكبيرة غرس له شجرة في الجنة، أصلها ياقوت أحمر، مكللة بالدر، طلعها كثدي الأبكار، أحلى من العسل وألين من الزبد، رواه الطبراني .

وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي أن أباهريرة رضي الله عنه قال: ما من عبد يسبح لله تسبيحة، أو يحمده تحميدة، أو يكبره تكبيرة، إلا غرس الله له بها شجرة في الجنة، أصلها من

ذهب، وأعلاها من جوهر مكللة بالدر، والياقوت ثمارها كثدي الأبكار، ألين من الزبد وأحلى من العسل، كلما جني منها شيأ عاد مكانه، رواه الطبراني في الأوسط موقوفا على أبي هريرة .

قوله: سبحان الله وبحمده مرتين هذا أول صيغ التسبيح، وقد مر أن القائد يقرأ وحده جميع ما قبل هذه الصيغة من صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومقدمة وآيات وأحاديث، فإذا أتم ذلك تبادل الصفان بهذه الصيغة، يقولها أولا الصف المقابل للصف الذي فيه القائد ويسكت، ثم يقولها صف القائد وهكذا يتناوبان ويستمرون ما شاء الله على هذه الحالة، وأهل الهمم العالية يراعون الأعداد التي في الأحاديث التي يقرأها القائد، فلا يتركون صيغة من صيغ التسبيح حتى يأتوا بالعدد المذكور في تلك الأحاديث، فإذا اختلفت الأعداد كحديث ألف مرة، وحديث مائة مرة المارين آنفا فالغالب فيهم رعاية الأقل منها.

والتسبيح لغة التنْزيه، وروى البزار عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال: تنْزيه الله تبارك وتعالى من السوء اهـ مجمع الزوائد للهيثمي، وفي النهاية لابن الأثير أصل التسبيح التنْزيه والتقديس والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعا، فمعنى سبحان الله تنْزيه الله، وفي اللسان لابن منظور والقاموس أن معنى سبحان الله تنْزيها لله من الصاحبة والولد، وفيهما وفي النهاية: وقيل: معنى سبحان الله السرعة إلى الله والخفة في طاعته، وزاد في اللسان قال ابن شميل رأيت في المنام كأن إنسانا فسر لى

سبحان الله فقال: أما ترى الفرس يسبح في سرعته؟ وقال: سبحان الله السرعة إليه والخفة في طاعته .

وسأل ابن الكواء عليا كرم الله وجهه عن سبحان الله فقال: كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها، وقال في النهاية: وقد يطلق التسبيح على غيره من أنواع الذكر مجازا كالتحميد والتمجيد وغيرهما، وقد يطلق على صلاة التطوع والنافلة، وقال إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: **{ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك}** كل ذكر الله تعالى عند العرب تسبيح اهـ.

وقال الإمام اللغوي الحافظ محرر مذهب إمامنا الشافعي أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الأسماء واللغات: إن من معاني سبحان الله التعجب، ومن ذلك قوله تعالى: **{سبحانك هذا بُهتان عظيم}**، ومنه الحديث الصحيح خذي فرصة من مسك فتطهري بِها قالت: كيف أتطهر بها، قال: سبحان الله تطهري بها وفي الحديث الآخر الصحيح سبحان الله إن المؤمن لا ينجس اهـ.

وفي آخر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني قال الزمخشري: سبحان علم للتسبيح، كعثمان علم للرجل .

قال ابن جرير الطبري في تفسير أول سورة الإسراء: إن من معاني التسبيح الصلاة فقد قال كثير من أهل التأويل في قوله تعالى: {**فلولا أنه كان من المسبحين**}: أي المصلين .

ومنها الاستثناء: فكان بعضهم يقول في قوله تعالى: {**ألم أقل لكم لو لا تسبحون**} أي لولا تستثنون.

ومنها النور: فسر بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم: لولا ذلك لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء، إنه نور وجهه.

ومنها التبرئة: فمعنى سبحان الله تبرئة له مما يقول فيه المشركون .

ومنها التنزيه: وقد فسر صلى الله عليه وسلم لما سئل عن سبحان الله بتنزيه الله عن السوء .

قال النحويون: سبحان اسم علم للتسبح، وفي القاموس والنهاية واللسان أن سبحان الله منصوب على المصدر بفعل مضمر، والمعنى أسبح الله تسبيحا أي أبرّئه من السوء براءة اهـ.

واختلف في أنه مصدر سماعي لسبح المضعف العين، أو اسم مصدر له، أو مصدر لسبح المخفف العين وعلى كل حال المراد منه علم جنس للتنزيه والتقديس كما قاله غير واحد، والسبحة كما في القاموس وشرحه خرزات للتسبيح، وإنما حدثت في الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيرا وتنشيطا اهـ.

وفي التهذيب للإمام النووي السبحة بضم السين وإسكان الباء: خرز منظومة يسبح بها تعتادها أهل الخير اهـ.

سبوح قدوس من صفاته تعالى لأنه يسبح ويقدس .

وقوله: وبحمده، قيل: الواو للحال ومتعلق الباء محذوف أي أسبح الله ملتبسا بحمده. وقيل: عاطفة لجملة على جملة أي أسبح الله تسبيحا وأتلبس□ بحمده. وقيل: زائدة أي أسبح الله تسبيحا مع ملابسة حمده اهـ من شرح ابن علان على الأذكار بتغيير وزيادة .

تنبيه: ذكر المصنف قدس الله سره آية واحدة وثمانية أحاديث في الترغيب والحث على سبحان الله وبحمده، وفضائلها أكثر من أن تحصر، وشرفها أعظم من أن يحصى، لكن نذكر نبذة من ذلك تبركا، قال الله سبحانه وتعالى: {**فسبح بحمد ربك واستغفره**}، وقال تعالى: {**وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده**}، وقال تعالى: {**فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين**}، وقال تعالى: {**وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار**}، وقال تعالى: {**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار**}، وقال تعالى: {**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**}، وقال تعالى: {**وسبح بحمد ربك حين تقوم**}، وقال تعالى: {**وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم**}، وقال تعالى: {**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم**}، وقال تعالى: {**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها سجدا وسبحوا بحمد ربهم**}، فهذه عشرة آيات بينات في الطلب والأمر بتسبيح ربنا وحمده، وعليها أقتصر خوف الإطالة، وفيها للموفق الكفاية .

ومن الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه في باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه .

وفي تحفة الذاكرين روى النسائي والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه: قولوا: سبحان الله وبحمده مائة مرة من قالها مرة كتب له عشرا ومن قالها مائة كتب له ألفا ومن زاد زاده الله ومن استغفر غفر الله له، هذا لفظ الترمذي وقال: حديث حسن غريب. وفي الترغيب والترهيب روى البزار بإسناد جيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة .

قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله وقال حديث حسن والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم اهـ.

وفي الترغيب أيضا روى الطبراني واللفظ له والفريابي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر من سبحان الله وبحمده، فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل قال المنذري: ولا بأس بإسناده إن شاء الله اهـ.

وفي الجامع الصغير روى أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة عن عبد الله ابن حبيب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من ضن بالمال أن ينفقه، وبالليل أن يكابده، فعليه بسبحان الله وبحمده.

وفي الترغيب أيضا روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدع رجل منكم أن يعمل لله كل يوم ألفى حسنة حين يصبح، يقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، فإنها ألفا حسنة، والله

إن شاء الله لن يعمل في يومه من الذنوب مثل ذلك، ويكون ما عمل من خير سوى ذلك وافرا رواه الطبراني واللفظ له، وأحمد وعنده ألف حسنة، وقال الهيثمي: وفي إسناد الطبراني أبوبكر بن أبي مريم وهو ضعيف .

وفي الترغيب أيضا روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال سبحان الله وبحمده كان مثل مائة بدنة إذا قالها مائة مرة، ومن قال: الحمد لله مائة مرة كان عدل مائة فرس مسرج ملجم في سبيل الله، ومن قال: الله أكبر مائة مرة كان عدل مائة بدنة تنحر بمكة قال المنذري: ورواة إسناده رواة الصحيح غير رجل لا يحضرني الآن فيه جرح ولا تعديل، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: حديث حسن .

وفي الترغيب أيضا روى عن سليمان بن يسار رضي الله عنه عن رجل من الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال نوح لابنه: إني موصيك بوصية وقاصرها لكي لا تنساها، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله، أوصيك بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض لوكانتا حلقة قصمتهما ولو كانتا في كفة وزنتهما، وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنّهما صلاة الخلق، وبِهما يرزق الخلق {**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا**}، وأما اللتان أنْهاك عنهما فيحتجب الله عنهما وصالح خلقه، أنْهاك عن الشرك والكبر، رواه النسائي واللفظ له والبزار والحاكم من حديث عبد الله بن عمر وقال الحاكم: صحيح الإسناد .

وفي شرح ابن علان على الأذكار روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال إذا أصبح مائة مرة وإذا أمسى مائة مرة سبحان الله وبحمده، غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفي الجامع الصغير للسيوطي روى ابن السني وأبونعيم في الحلية عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما تستقل الشمس فيبقي شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم، قوله: ما تستقل أي ترتفع .

روى ابن جرير الطبري بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: سبحان الله وبحمده، فقلت: يارسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده، قال: إني أمرت بها، فقال: إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة، انتهى من ابن كثير في تفسير سورة النصر.

فهذه عشرة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر بسبحان الله وبحمده، وفي فضائلها، وفيها الكفاية لمن أراد الله له أن يغترف من بحار أنوارها، ويستمد من أمدادها، ويستنير بضوء شموسها، جعلنا الله ممن يكثر قراءتها، ووفقنا وإخواننا بفضله كل ما يرضيه عنا.

خاتمة: علمت من تلك الأحاديث أن لسبحان الله وبحمده فوائد كثيرة. وفضائل عظيمة، منها حط الذنوب وإن كانت في الكثرة مثل زبد البحار، ومنها أنها أحب الكلام إلى الله وأفضله لديه، ومنها اصطفاؤه تعالى بها

لملائكته، ومنها قيامها مقام الجهاد لمن جبن عنه، ومقام الصدقة لمن بخل ببذل الأموال، ومقام قيام الليل لمن عجز عن تحمل مشقة السهر وضعف عن مكابدته، ومنها أن قائلها اشترى نفسه من الله وكان عتيق ربه، فهي الفداء له، ولله الحمد، ومنها غرس الأشجار الكثيرة لقائلها في الجنة، ومنها أنها ورد الخلائق ودعاؤهم، وأن الله يرزقهم بها، ومنها أنها كانت ورده صلى الله عليه وسلم في أواخر عمره، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يختار حالتئذ إلا ما كان أعظم أجرا وأجل ثوابا، رزقنا الله **باتّباع** نهجه واقتفاء سيرته .

(ص) قال الله تعالى: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

(ش) قوله: قال الله تعالى: {**ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**} الآيات. قال النيسابوري في غرائب القرآن في الكلام على هذه الآيات: أمر الله نبيه لكشف ما نابه بأربعة أشياء، بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة إلى اتيان اليقين اهـ.

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآيات: يقول الله تعالى: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك {فسبح بحمد ربك} أي فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى

الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك لله من ذلك ما أهمك، وهذا نحو الخبر الذي روى عن رسو الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة اهـ.

وقوله: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: كلمتان خفيفتان إلخ رواه مسلم بهذا اللفظ ورواه البخاري وختم به كتابه الجامع الصحيح، قال الحافظ العسقلاني: وذكر هذا الحديث البخاري أيضا في الدعوات وفي الإيمان والنذور اهـ.

أقول: وختم بهذا الحديث الإمام الشعراني كتابه كشف الغمة عن جميع الأمة وافتتح به النووي كتابه الأذكار .

وأخرج هذا الحديث أيضا كما قاله ابن علان الإمام أحمد والترمذي والنسائي، قال ابن علان: وختم البخاري كتابه بهذا الحديث لأن التسبيح مشروع في الختام، فقد قال تعالى: {**فسبح بحمد ربك واستغفره**}، وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك اهـ.

ونص عبارة مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب وأبو كريب ومحمد بن طريف البجلي قالوا: حدثنا ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

وعبارة البخاري في آخر صحيحه: حدثني أحمد بن أشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

وقوله: خفيفتان على اللسان، يعني لا كلفة في النطق بِهما لسهولة خروجهما ولين حروفهما، وذلك لأنه ليس فيهما حرف من حروف الإستعلاء ولا من حروف الإطباق غير الظاء ولامن حروف الشدة غير الباء، والدال ومما يستثقل من الحروف الثاء المثلثة والشين المعجمة وليستا فيهما، والأفعال أثقل من الأسماء وليس فيهما فعل ومن الأسماء ما يستثقل كالذي لا ينصرف وليس فيهما وقد اجتمعت فيهما حروف اللين الثلاثة التي هي الألف والواو والياء، انتهى من إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ومن تحفة الذاكرين للشوكاني.

فانظر فصاحة من أوتي له جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم وبلاغة كلامه وفي هذا الحديث من أنواع البديع المقابلة والموازنة في السجع وغيرهما .

قال الحافظ في فتح الباري: سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتُها وغابت حلاوتُها فثقلت، فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتُها وغابت مرارتُها فلذلك خفت، فلا يحملنك خفتها على ارتكابِها اهـ.

وفي المرقاة مثل هذا، لكنه عزا هذه الحكمة إلى عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وقوله: حبيبتان تثنية حبيبة بمعنى محبوبة، فالفعيل هنا بمعنى مفعول لا بمعنى فاعل كما لايخفى .

وفي سعادة الدارين للنبهاني ناقلا عن كتاب حصول الرفق بأصول الرزق للحافظ جلال الدين السيوطي أن المستغفري أخرج عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا قال: يارسول الله قلّت ذات يدي، فقال: أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق قل: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتك الدنيا صاغرة راغمة، فهاتان الكلمتان تنفيان الفقر وتجلبان الغنى وذكر هذا الحديث النبهاني في باب عقده للفوائد المتعلقة بتسهيل الرزق وتوسيعه.

وفي شرح الإحياء للمرتضى الزبيدي أن أبابكر بن أبي شيبة روى في المصنف عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قلت: يارسول الله أخبرني أي الكلام أحب إلى الله بأبي أنت وأمي، قال: ما اصطفى الله لملائكته، سبحان ربي وبحمده سبحان ربي العظيم، وقال الزبيدي: حديث صحيح، والمصنف اسم كتاب لابن أبي شيبة.

وفي تحفة الذاكرين للشوكاني روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله وأتوب إليه، من قالها كتب له كما قالها ثم علقت بالعرش لا يمحوها ذنب عمله صاحبها حتى تلقى الله يوم القيامة مختومة كما قالها اهـ.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار وفي سنده يحيى بن عمرو بن مالك وهو ضعيف قال الدارقطني: صويلح يعتبر به وبقية رجاله ثقات .

ونص عبارة مجمع الزوائد وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله وأتوب إليه، من قالها كتبت كما قالها، ثم علقت بالعرش لا يمحوها ذنب عمله صاحبها حتى تلقى الله يوم القيامة وهي مختومة كما قالها، وفي نسختي حصن الحصين وعدة الحصن: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه بزيادة العظيم، وبين النسخ اختلاف يسير في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان.

وفي الإحياء للإمام الغزالي: روى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تولت عني الدنيا وقلّت ذات يدي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون، قال: فقلت: وما ذا يارسول الله؟ قال: قل: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة، ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه اهـ.

وقال الحافظ العراقي: أخرجه المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر .

وفي اللآلي المصنوعة للسيوطي أن ابن حبان رواه من ابن عمر مرفوعا ثم قال ابن حبان: موضوع، ورواه الحاكم وفي سنده كذاب اهـ.

وسمعت من أستاذي العلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ داود أن سيدي الشيخ أحمد بن الشيخ داود كان من أوراده سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله وأتوب إليه اهـ.

وفي تقريب الأصول في تسهيل الوصول لمفتي الحرمين السيد أحمد زيني دحلان: قال بعض العارفين: ومن الأسباب القوية لتسهيل الرزق ملازمة الأذكار المجربة لتسهيل الرزق نحو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله يقرأ كل يوم مائة مرة بعد صلاة سنة الصبح وقبل صلاة الفريضة بحيث يكون بينهما، فإن لم يتيسر ذلك فبعد الفريضة .

وفي شرح الإحياء للمرتضى الزبيدي: روى ابن السني والديلمي من حديث ابن عباس من قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب .

قول المتن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم: يعني يقول المجتمعون للتسبيح هاتين الكلمتين بعد قراءة القائد الآية المذكورة والحديث السابق ويتبادل بهما الصفان، ويستمرون على ذلك إلى ما شاء الله ثم يقرأ القائد الآتيتين ثم الحديث بعدهما .

(ص) قال الله تعالى: {نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة .

سبحان الله العظيم وبحمده

(ش) قوله: قال الله تعالى: {**نحن جعلناها تذكرة**} الآيتين، أمرنا الله به التسبيح باسمه العظيم .

قوله: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال: سبحان الله العظيم إلخ رواه كما في تخريج أحاديث الإحياء للعراقي الترمذي، وقال: حسن، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قال المرتضى الزبيدي في شرح الإحياء: ورواه أيضا ابن أبي شيبة في المنصنف وابن منيع وأبويعلى والطبراني في الكبير وأبونعيم والضياء في المختارة كلهم عن جابر، وهذا اللفظ كما قال المنذري للترمذي، ولفظ النسائي غرست له شجرة في الجنة .

وروى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال حين يصبح سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، وإذا أمسى كذلك لم يواف أحد من الخلائق مثل ما أوفى .

وفي إعانة الطالبين حاشية فتح المعين مانصه: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال بعد ما تقضى

الجمعة: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب ولم يذكر من أخرجه .

وفي الترغيب والترهيب للمنذري: روى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال دبر الصلاة: سبحان الله العظيم وبحمده لاحول ولا قوة إلا بالله قام مغفورا له رواه البزار .

وفي مجمع الزوائد روى عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة رواه أحمد وإسناده حسن.

قوله: سبحان الله العظيم وبحمده يعني أن المجتمعين للتسبيح يقولون سبحان الله العظيم وبحمده على الكيفية التي ذكرناها مرارا .

(ص) وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع إليها بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

(ش) قوله: وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها إلخ أخرج هذا الحديث مسلم وأصحاب السنن الأربعة كلهم عن جويرية رضي الله عنها، ورواه أيضا الطبراني في كتاب الدعاء، ولفظ مسلم: عن جويرية أن النبي

صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وفي رواية لمسلم أيضا: عن جويرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها حين صلى صلاة الغداة أو بعد ما صلى الغداة فذكر نحوه غير أنه قال: سبحان الله عدد خلقه سبحان رضا نفسه سبحان زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته .

ولفظ الترمذي كما في الترغيب والترهيب للمنذري: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي في المسجد ثم مر بها وهي في المسجد قريب نصف النهار، فقال: ما زلت على حالك؟ فقالت: نعم، فقال: أعلمك كلمات تقولينها، سبحان الله عدد خلقه سبحان الله عدد خلقه سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، وذكر زنة عرشه ومداد كلماته ثلاثا ثلاثا، وقال: حديث حسن صحيح .

وقوله: عن جويرية هي بنت الحارث ابن أبي ضرار، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمس أو ست من الهجرة وتوفيت سنة ٥٦ هـ عن ٦٥ سنة رضي الله عنها، قوله: بكرة هي أول النهار من الفجر على الصحيح قاله ابن علان، قوله: حين صلى الصبح قال القاري في شرح المشكاة: أي حين أراد صلاة الصبح وتبعه على ذلك ابن علان في شرح الأذكار لكن

الظاهر من لفظ الحديث أنه صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بعد ما صلى صلاة الصبح، ورواية مسلم الثانية تؤيد ذلك بل هي صريحة فيه، ألا ترى قولها أنه صلى الله عليه وسلم مر بها حين صلى صلاة الغداة أي بعد ما صلى صلاة الغداة والله أعلم.

قوله: وهي في مسجدها أي موضع صلاتها قاله النووي في شرح مسلم.

وقال العاقولي: أي موضعها المعد للصلاة من بيتها اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: هو بفتح الجيم وتبعه ابن علان عليه، وقال القاري في المرقاة هو بفتح الجيم ويكسر. وقال سيبويه وصاحب القاموس وغيرهما موضع السجود بالفتح لاغير اهـ.

وأما البيت المبنى للعبادة فهو المسجد بالكسر، قوله: بعد أن أضحى قال القاري في المرقاة: أي دخل في الضحوة، وهي ارتفاع النهار قدر رمح، وقيل: أي صلى صلاة الضحى اهـ وقال ابن علان في شرح الأذكار: أي دخل في الضحى، فالفعل تام، والضحى ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قدر رمح، ووقع عند الطبراني ثم رجع بعد ما ارتفع وانتصف النهار وهي كذلك اهـ.

وفي القاموس الضحوة ارتفاع النهار والضحى فويقه .

أقول: تقدم في رواية الترمذي أيضا أنه صلى الله عليه وسلم مر بِها قريب نصف النهار، فتفسير قوله بعد أن أضحى بما ذكر فيه شيء، والذي ينبغي في تفسيره أن يقال: أي دخل في الضحاء بالمد ففي القاموس الضحاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار اهـ والله أعلم.

قوله: مازلت بكسر التاء كالكاف التي في فارقتك وبعدك، قوله منذ اليوم منذ من حروف الجر، فاليوم مجرور به، ويجوز كما قال القاري وغيره رفع اليوم، وقوله: لوزنتهن أي عادلتهن وساوتهن، أو غلبتهن وزادت عليهن، يقال: هذا يزن درهما أي يساويه، ويقال: وازنته فوزنته أي غلبته في الوزن، كما يقال: حاججته فحججته أي غلبته في الحجة، ويؤيد هذا الاحتمال الأخير كما قال ابن علان ما ورد عن الطبراني من أنه صلى الله عليه وسلم قال: لقد قلت بعدك كلمات ثلاث مرات هن أكثر وأرجح مما قلت، والضمير في لوزنتهن عائد إلى ما التي في بما قلت، أي لوزنت تلك الكلمات وترجحت على ما قلتِ، وإنما جمع الضمير اعتبارا لمعنى ما؛ إذ هي واقعة على أذكار كثيرة جدا كما لا يخفى، انتهى ما نقلته من شرح الأذكار لابن علان .

وفي المرقاة أن هذا الضمير راجع إلى ما يقتضيه المعنى لا إلى لفظة ما التي في قوله ما قلتِ اهـ

قوله: عدد خلقه قال القاري: منصوب على نزع الخافض اهـ. أي اسبحه وأحمده بعدد خلقه، وقوله: ورضاء نفسه قال في المرقاة: أي أقول: له التسبيح والتحميد بقدر ما يرضيه تعالى خالصا مخلصا له، فالمراد بالنفس ذاته والمعنى ابتغاء وجهه اهـ

قال الهيتمي في شرح المشكاة: وفي ذكر النفس الإشارة إلى الإخلاص إذ لا يرضى الله إلا بما كان خالصا لوجهه اهـ بالمعنى .

وفي أكثر النسخ التي رأيتها ورضا نفسه بحذف الهمزة، وفي كثير منها رضاء نفسه بالمد وإثبات الهمزة، وفي المختار واللسان أن الأخفش قال: الرضا

مقصورا مصدر محض، والإسم الرضاء ممدودا، وفي القاموس رضي رضا ورضوانا ومرضاة، وفي اللسان ووالقاموس أن الرضا مقصورا مصدر بمعنى المرضاة، وأن الرضاء ممدودا بمعنى المراضاة، فظهر أن اللائق هنا الرضا بالقصر والله أعلم.

وقوله: وزنة عرشه قال القاري في المرقاة: أي أسبحه وأحمده بثقل عرشه أو بمقدار عرشه .

وقوله: ومداد كلماته قال النووي في شرح مسلم: قيل: معناه مثلها في العدد، وقيل: مثلها في أنها لا تنفد، وقيل: في الثواب، والمداد بكسر الميم وهي هنا مصدر بمعنى المدد وهو ما كثرت به الشيء اهـ.

قال ابن علان: بعد ذكره عبارة النووي ويحتمل أن يكون جمع مدٍّ بضم الميم مكيال معروف فإنه يجمع على مداد.

قال في المرقاة: أي أسبحه وأحمده بمقدار كلماته أي كتبه وصُحُفِه المنَزلة، وتطلق كلماته أيضا على جميع أمره، وعلى جميع الموجودات اهـ

قال ابن علان: وكلماته تعالى قيل: هي كلامه القديم، وقيل: علمه، وقيل: القرآن اهـ

وقوله: أربع كلمات قد يستشكل بأن الكلمات خمسة إذا جعلنا سبحان الله وبحمده كلمة مستقلة، والجواب كما يدل عليه حديث الترمذي، ويؤخذ من حديث أبي أمامة الذي رواه ابن أبي الدنيا وأحمد وغيرهما أن سبحان الله وبحمده ليست مستقلة برأسها بل هي مرتبطة بكل كلمة من الكلمات الأربعة لأن المعنى والله أعلم بحقيقة الحال، سبحان الله وبحمده قدر عدد

خلقه فهذه كلمة، وسبحان الله وبحمده قدر رضاء نفسه كلمة أخرى، وهكذا إلى تمام الحديث .

واعلم أنه يوجد قبل حديث جويرية في جميع النسخ غير التي اعتمدت عليها ما لفظه:

قال الله تعالى: {**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**} اهـ.

واتفقت أيضا ألسنة قائدي التسبيح على قراءة هذه الآية قبل حديث جويرية، فالظاهر أن هذه الآية سقطت من النسخة التي اعتمدت عليها والله أعلم.

قوله: سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلخ يعني أن الحاضرين لمجلس التسبيح يقولون هذه الكلمات على التناوب أي يقرؤها أحد الصفين ثم يسكت، ويقرؤها الصف الآخر ثم يسكت، وهكذا يتبادلان إلى ما شاء الله والغالب أن يقرؤوها بالعدد المذكور في الحديث.

تنبيهان: الأول في إعراب عدد خلقه إلى قوله ومداد كلماته، اعلم أنه كثر اختلاف العلماء في إعراب هذه الكلمات الأربع وتكلم فيها خلائق من النحاة وشارحي هذا الحديث، واستحسن كل منهم بما رآه صوابا لديه فرجحه، فممن أطنب فيها الكلام ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه الفتاوي الحديثية وتكلم فيها أيضا ابن علان في شرحي الأذكار ورياض الصالحين، وشارح المشكاة وغيرهم، لكن الحافظ السيوطي رحمه الله سئل عن إعراب هذه الكلمات فألف في إجابة هذا السؤال جزءا سماه: رفع

السنة في نصب الزنة، ورجح بأن هذه الكلمات منصوبات على تقدير الظرف والتقدير قدر عدد خلقه وكذا البواقي فلما حذف الظرف، قام المضاف إليه مقامه في إعرابه، وقال: هذا الإعراب هو المتجه المطرد السالم من الانتقاض، وقد صرح به الخطابي في معالم السنن فقال: قوله: ومداد كلماته أي قدر ما يوازنها في الكثرة، وقال ابن الأثير في النهاية: ومداد كلماته أي مثل عددها، وقيل: قدر ما يوازنها في الكثرة اهـ .

فأشار بقوله: مثل إلى المصدر أو الوصف، وبقوله: وقيل قدر ما يوزانها إلى الظرف، وقد صرح الخطيب التبريزي والمرزوقي كلاهما في شرح الحماسية بأن نصب قدر على الظرفية جائز .

وقال جماعة في حديث أن موسى سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر: أن رمية منصوبة على الظرف بتقدير قدر أي قدر رمية .

وقال الطيبي في شرح المشكاة في حديث فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفا بأن سبعين مفعول مطلق أو ظرف أي تفضل مقدار سبعين، وقال أبو البقا في حديث من فارق الجماعة شبرا: هو منصوب على الظرف، والتقدير قدر شبر، وقال الطيبي في حديث من تقرب إليّ شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب إليّ ذراعا تقربت منه باعا: أن شبرا وذراعا وباعا منصوبات على الظرفية أي من تقرب إليّ مقدار شبر إلخ، ثم إن المسألة منصوصة في كتب النحو كالتسهيل لابن مالك، وقال في الألفية:

وقد ينوب عن مكان مصدر　　　وذاك في ظرف الزمان يكثر

وقال ابن هشام في التوضيح: ينوب المصدر عن الظرف إذا كان معينا لمقدار نحو انتظرتك حلب ناقة، وقال أبوحيان في شرح التسهيل: إن المصدر إذا استعمل في معنى الظرف جاز أن يضاف، تقول: أتتك ريث قيام زيد أي قدر بطء قيامه، وذكر السيوطي احتمالات أخرى كلها مرجوحة عنده منها أن ينصب هذه الكلمات على المصدرية ذكره المظهري في شرح المصابيح ورده بأنه لو كان مصدرا لم يجيء بالفك لأن مصدر عد على فعل بسكون العين مثل رد ومد وشد قال تعالى: {**إنما نعد لهم عدا**} وذكر لرده أيضا أوجها أخرى أنها منصوبة بنزع الخافض والنصب على الظرفية ونزع الخافض متقاربان فإن الظرف منصوب على إسقاط الخافض الذي هو في غير أنه باب مطرد والنصب بنزع الخافض في غير الظرف غير مطرد فاتجه بذلك أنه منصوب على الظرف بتقدير قدر .

ومنها: نصبها على الصفة للمصدر، قال: وهذا ذكره طائفة لكنه لا يصح لأسباب، ثم ذكرها رحمه الله.

ومنها: نصبها على الحال وهو باطل.

ومنها: أن يجعل لكل واحدة منها إعراب على حدتها، قال الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق: أي عددا كعدد خلقه وبمقدار زنة عرشه ورضا نفسه أي غير منقطع فأشار إلى أن الأولى مصدر، والثانية ظرف، والثالثة حال ولا شك أن تساوى الكل في الإعراب حيث أمكن أولى .

ومنها: أن يجعل مفعولا به لفعل أو وصف مقدر أي يبلغ زنة عرشه أو بالغا زنة عرشه.

ومنها: أن يكون القول مقدرا، وسبحان الله مفعول أول، وزنة عرشه مفعول ثان على لغة من يجري القول مجرى الظن بلا شرط.

ومنها: أن تكون خبرا لكان مقدرة هي واسمها ضميرا راجعا إلى التسبيح، وتقدر إما بصيغة المضارع أو اسم الفاعل.

ومنها: أن يجعل رضا نفسه على انفراده خصوصا مفعولا له على جعل الرضا بمعنى الإرضاء، ثم قال السيوطي رحمه الله في آخر تأليفه: وكلها لا يعول عليها، والعمدة على الأول والله أعلم، انتهى ما نقلته من كتاب السيوطي رحمه الله تعالى، وتبعه على ذلك الهيتمي فاعتمد بأنها منصوبة على الظرفية بتقدير قدر .

الثاني الظاهر من حديث جويرية أن ثواب الأذكار يتضاعف بذكر الأعداد، وله في ذلك شواهد أخرى، فمن ذلك ما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أحرك شفتي فقال لي: بأي شيء تحرك شفتيك يا أبا أمامة؟ فقلت: أذكر الله يا رسول الله فقال: ألا أخبرك بأكثر وأفضل وأكثر من ذكرك بالليل والنهار؟ فقلت: بلى يا رسول الله قال: تقول: سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ماخلق، سبحان الله عدد ما في الأرض، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء،

والحمد لله ملء كل شيء، رواه كما قال المنذري ابن أبي الدنيا واللفظ له، والإمام أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين .

وروى عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح به، فقال: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل، فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة مثل ذلك، قال المنذري: رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

وعن صفية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وبين يديها أربعة آلاف نواة تسبح بهن فقال: ألا أعلمك بأكثر مما سبحت به؟ فقالت: بلى علمني، فقال: قولي: سبحان الله عدد خلقه قال المنذري: رواه الترمذي والحاكم وقال: قولي: سبحان الله عدد ما خلق من شيء وروى البيهقي في الأسماء والصفات بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رجل : لا إله إلا الله عدد ما أحصى علمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت الملائكة يلقي بعضها بعضا أيهم يسبق إليها فيكتبها، فقالت الملائكة: يارب كيف نكتبها؟ قال: فقال عز وجل اكتبوها كما قال عبدي .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معاذ مالك لا تأتينا كل غداة؟ قال: يارسول الله إني أسبح كل غداة سبعة آلاف تسبيحة قبل أن آتيك، قال: ألا أعلمك كلمات هن أخف عليك وأثقل في الميزان، ولا تحصيه الملائكة ولا أهل الأرض، قال: قل: لا إله إلا الله عدد رضاه، لا إله الله زنة عرشه، لا إله إلا الله عدد ملائكته، لا إله إلا الله عدد خلقه، لا إله إلا الله ملء سمواته، لآإله إلا الله ملء أرضه، لا إله إلا الله ملء ما بينهما، رواه الديلمي كما قال النبهاني في الأربعين الأربعين، ويأتي إن شاء الله في شرح الحمد لله أحاديث أخرى تدل أيضا على المضاعفة بذكر الأعداد ونحوها، وفي الصلاة الإبراهيمية ما يدل على تكثير الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومضاعفتها .

وأخذ بظاهر هذه الأحاديث كثير من الأئمة فقالوا: من قال: سبحان الله قدر كذا أو عدد كذا مثلا يكتب له ذلك القدر والعدد، وممن قال ذلك ابن حجر الهيتمي وابن علان الصديقي والحفني في شرح الحصن الحصين والشوكاني في تحفة الذاكرين والشيخ سليمان الجمل في حاشيته على المنهج وغيرهم ونقلت بعض عباراتهم في شرحي المنتخب على أوراد مرحب وقال السيد علوي بن أحمد السقاف في تقريرات له على ترشيخ المستفيدين في باب الجمعة أن الإمام الكردي سئل عما إذا قال سبحان الله ألف مرة أو عدد خلقه هل يتكرر هذا العدد أولا؟ فأجاب رحمه الله بأنه جاء في الأحاديث النبوية ما يفيد حصول ذلك الثواب المرتب على العدد المذكور .

وكان كثير من العلماء الأجلاء والأصفياء الأتقياء سادات الأمة وأئمتها من السلف والخلف يأتون في أورادهم وأحزابهم وصلواتهم على المصطفى

صلى الله عليه وسلم بصيغ فيها الأعداد وأدوات التكرار وألفاظ المضاعفة والدوام ونحو ذلك مما يقتضي الكثرة أو الإستمرار والتأبيد، وحاشا أن يكون ذلك منهم بغير جدوى وفائدة بل لا شك أنهم يقصدون من ذلك استرباحا في تجارتهم مع الملك الوهاب واستكثارا لزادهم في يوم العرض والحساب، ولا ريب أنهم يرجون بذلك العطاء الجزيل، من الثواب الذي لا يحصيه غير واهبه التواب، ويطمعون النجاة من الدخول في دار الهوان والعقاب فهنيئا لمن بهم اقتدى وإلى طريقهم اهتدى، وعلى آثارهم اقتفى، أوليك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده، وممن سلك هذا المسلك إمامنا الأعظم محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وعنا بجاهه لديه؛ فإنه قال في كتاب الرسالة : صلى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وصلى الله عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحد من خلقه، وزكانا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحدا من أمته بصلاته عليه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى مرسلا عمن أرسل إليه انتهى ما رأيته فيه ونقلته بلفظه .

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء روى عن أبي الحسين الشافعي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يارسول الله بم جوزي الشافعي عنك؟ حيث يقول في كتاب الرسالة: وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، فقال صلى الله عليه وسلم: جوزي عني بأنه لا يوقف للحساب، قال الزبيدي في شرحه على الإحياء: قال ابن بنان الأصبهاني: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك هل خصصته بشيء؟ قال:

نعم، سألت الله عز وجل أن لا يحاسبه، فقلت: بم يارسول الله؟ قال: لأنه كان يصلي على صلاة لم يصل عليّ أحد قبله مثله، قلت: وما هذه الصلاة يارسول الله؟ قال: كان يقول: اللهم صلّ على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون، وقد روى معنى هذه الحكاية عن المزني صاحب الشافعي وعن عبد الله بن الحكم فقال كل منهما: رأيت الشافعي في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك قال: غفر لي ورحمني بصلاة صليتها على النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الرسالة اهـ باختصار .

وفي المغني لابن قدامة الحنبلي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول في تلبيته: لبيك عدد التراب. وفي سعادة الدارين أن الحافظ القسطلاني ذكر في كتابه مسالك الحنفاء أن الإمام زين العابدين علي بن الحسين كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة طويلة، وفي آخرها اللهم صل على محمد بعدد من صلى عليه وعدد من لم يصل عليه اهـ.

وكذلك الإمام النووي استعمل في الحزب المنسوب إليه عبارات ذكر فيها الأعداد، مثل قوله بسم الله الله أكبر الله أكبر أقول على نفسي وعلى ديني وعلى أهلي وعلى أولادي وعلى مالي وعلى أصحابي وعلى أديانهم وعلى أموالهم ألف ألف بسم الله .

وفي الفتح الرباني والفيض الرحماني لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني أن الشيخ الجيلاني قدس الله سره كان يقول في ابتداء كل مجلس: الحمد لله رب العالمين يكررها ثلاث مرات ويسكت عقب كل مرة لحظة ثم يقول:

عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضاء نفسه، ومداد كلماته، ومنتهى علمه، وجميع ما شاء وخلق وذرأ وبرأ إلى آخرها، وفيها طول ولأجله تركت إتمامها.

وكان أيضا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صلوات فيها ذكر الأعداد، وذكر كثيرا منها النبهاني في سعادة الدارين وكان سيدي أحمد بن إدريس قدس الله سره يقول في ختام مجالسه الوعظية لآإله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، في كل لمحة ونفس ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وعدد النعم، وزنة العرش .

وقال ابن حجر العسقلاني في خطبة فتح الباري شرح صحيح البخاري: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه غيوث الندى، وليوث العدا، صلاة وسلاما دائمين من اليوم إلى أن أن يبعث الناس غدا. وقال أيضا في خطبة مقدمة البخاري: صلى الله عليه وسلم ما دامت السماء والأرض.

وذكر النبهاني في سعادة الدارين كثيرا ممن أتى بالصيغ التي تدل على الكثرة والمضاعفة، منهم الطبراني والرفاعي وأبو المعتمر في تسبيحاته المشهورة والمرتضى الزبيدي شارح القاموس والإحياء وأبو الحسن البكري، ومحمد بن أبي الحسن البكري، وعبد الله بن الأسعد اليافعي، وأبو المواهب الشاذلي، والعلامة سيدي مصطفى البكري، وأحمد التيجاني، ومحمد بن عثمان الميرغني، وغيرهم من الخلائق لا يحصون اهـ.

ومنهم البوصيري في قصيدته المضرية المشهورة، والقطب البدوي في الصلاة الشجرية المشتهرة وغيرها، وتوقف بعضهم في حصول ذلك الثواب، فقال ابن عرفة المالكي: إنه يحصل به ثواب أكثر ممن صلى مرة لا ثواب ذلك

العدد، وقد يشهد لإثابته بقدر ذلك العدد من طلق ثلاثا فإنه يلزمه الأعداد الثلاثة وفي بغية المسترشدين أن محمدا الرملي تردد في هذه المسئلة. وفي إعانة الطالبين واختلف هل يحصل للمصلي بنحو صيغة الإمام الشافعي ثواب صلوات بقدر هذا العدد أو ثواب صلاة واحدة لكنه أعظم من ثواب الصلاة المجردة عن ذلك قولان، والمحققون على الثاني .

(ص) قال الله تعالى: { المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا} وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الملة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عليكم بخمس كلمات قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة أوراقها وهن من كنوز الجنة .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال لأصحابه ذات يوم: خذوا جنتكم، قالوا: أمن عدو حضر؟ قال: لا ولكن جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أحب إِلَيَّ مما طلعت عليه الشمس وغربت.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لقيت إبراهيم الخليل ليلة أسرى بي، فقال لي: يا محمد إقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(ش) قوله تبارك وتعالى: {**والباقيات الصالحات**} فسر كثير من أكابر المفسرين الباقيات الصالحات بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وزاد بعضهم: ولا حول ولا قوة إلا بالله، ففي موطأ الإمام مالك رحمه الله: أخبرنا عمارة بن صياد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول في الباقيات الصالحات قول العبد الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي جامع البيان في تفسير القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سئل عن الباقيات، الصالحات قال: هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وروي عن عثمان أيضا أنه قال: هي لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وروى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في الباقيات الصالحات: هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وروى أيضا بسنده إلى مجاهد وقتادة والحسن مثل ما لابن عباس.

وروي عن سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب القرطبي: أن الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: جلس النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال: إن قول لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح، خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن، هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهللن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون انتهى ما نقلته من الطبري في تفسير آية {**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**} الآية. وآية {**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**} الآية.

وقوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: استكثروا إلخ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، ولفظه: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرنا عمرو بن الحرث أن دراجا أبا السمح حدثه عن ابن الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وماهي يارسول الله؟ قال: الملة، قيل: وماهي

يارسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولاحول ولا قوة إلا بالله.

وفي الترغيب والترهيب روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هن يارسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، رواه النسائي واللفظ له، والإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: إن اسناد الإمام أحمد وأبي يعلى حسن اهـ.

وفي بعض طرق الحديث زيادة العلي العظيم كما في الجامع الصغير، وفي بعضها: التحميد بدل والحمد لله .

قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عليكم إلخ رواه ابن ماجه والطبراني قال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وهن من كنوز الجنة رواه ابن ماجه باختصار والطبراني اهـ

وقوله في المتن: عليكم بخمس كلمات لم أرها، فلا أدري أنها في بعض طرق الحديث أو زيادة من النساخ .

قوله: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه الخ رواه الطبراني في الصغير والأوسط قال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خذوا جنتكم قلنا: يارسول الله

من عدو حضر؟ فقال: خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن يأتين يوم القيامة مستقدمات ومنجيات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات، رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

وفي الترغيب والترهيب ورواه أيضا النسائي والحاكم بدون لاحول ولا قوة إلابالله، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وقوله: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: لأن أقول إلخ رواه الإمام مسلم، ولفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، فليس في رواية مسلم: لا حول ولا قوة إلا بالله، وليس فيها أيضا: وغربت التي في آخر حديث المتن .

قال المنذري: ورواه الترمذي وقال ابن علان في شرح الأذكار: ورواه النسائي في السنن الكبرى وابن أبي شيبة وأبو عوانة اهـ.

فالزيادة على ما في مسلم يحتمل أنها من بعض طرق الحديث التي في تلك الكتب والله أعلم.

وقال ابن علان: أي هذه الكلمات باعتبار ثوابها أحب إليّ من الدنيا بأسرها لزوالها وفنائها. وقال القرطبي يحتمل أن يكون معناه أن تلك الأذكار أحب إليه من أن يكون له الدنيا فينفقها في وجه البر والخير، وإلا فالدنيا من حيث هي دنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وكذا عند أنبيائه وأصفيائه، فكيف يتوهم كونها أحب إليه من الذكر حتى ينص على خلافه اهـ.

قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لقيت إلخ رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه الترمذي لكن بدون لا حول ولا قوة إلا بالله، وقال أي الترمذي: حديث حسن غريب، وتعقبه المنذري والهيثمي بأن في سنده عبد الرحمن ابن إسحاق وهو أبو شيبة الكوفي وهو ضعيف، وبين الطرق اختلاف يسير في اللفظ، ففي بعضها: رأيت إبراهيم الخليل، وفي بعضها: ليقيت إبراهيم، وقوله: فقال لي لفظة لي ساقطة عن النسخ التي رأيتها، فالذي في نسخ الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد والمشكاة فقال: يا محمد بحذف لي، قوله: مني كذا في نسختي المشكاة ورياض الصالحين، والذي في أكثر النسخ حذف لفظة مني، قوله: طيبة التربة قال ابن علان: تربتها المسك والزعفران ولا أطيب منها، قوله: عذبة الماء قال الله تعالى: {**فيها أنهار من ما ء غير آسن**} أي غير متغير بملوحة وغيرها، وقوله: قيعان جمع قاع، وهو المكان الواسع المستوي من الأرض، وقوله: إقرأ أمتك مني السلام، قال ابن علان في شرحي الأذكار ورياض الصالحين: قال ابن حجر الهيتمي في فتح الإله: لا يبعد أنه ينبغي لمن سمع ذلك أن يقول: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، جزاء لما تفضل به إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم على هذه الأمة آخرا، كما تفضل عليها أولا بسؤاله من ربه أن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم، ففي الحديث: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى، بل جزم ذلك على بن سلطان القاري في شرح المشكاة فقال فيه: ينبغي لكل من سمع ذلك أن يقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته اهـ.

تنبيه: ذكر المصنف رحمه الله في فضائل الباقيات الصالحات آية واحدة وخمسة أحاديث فقط، وجاء في فضائلها آيات شهيرة، وأحاديث كثيرة، نتبرك بذكر طرف منها، فمن الآيات قوله تعالى: {**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا**} قال البيضاوي في تفسير هذه الآية: الباقيات الصالحات هي الطاعات، ويدخل فيها الصلوات الخمس، وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر اهـ.

وفي النسفي: هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والصلوات الخمس أو أعمال الآخرة اهـ.

وقوله تعالى: {**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**}قال الإمام النيسابوري في تفسير هذه الآية: وعن النبي صلى الله عليه وسلم: الكلم الطيب هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، إلى آخر الحديث .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن عليه قال: أخبرنا سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب: إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن. وقال ابن كثير إسناد ابن جرير هذا إسناد صحيح إلى كعب الأخبار رحمة الله عليه، ثم قال ابن كثير: وروى هذا مرفوعا، فروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره

وتحميده يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله إن العبد إذا قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه، وصعد بهن لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيء بهن وجه الرحمن، ثم تلا عبد الله {**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**} رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، قال المنذري في الترغيب والترهيب: في نسختي يحيى بالحاء المهملة وتشديد المثناة تحت. ورواه الطبراني وقال حتى يجيء بالجيم ولعله الصواب اهـ .

وقوله تعالى: {**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له**} قال الجمل في حاشيته على الجلالين: قيل: القرض الحسن هو أن تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، رواه سفيان عن أبي حيان .

وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوي الفقهية في باب صلاة النفل: وفي الباقيات الصالحات فضائل وخصوصيات لا توجد في غيرها، منها أنها صلاة الحيوانات والجمادات، ومنها أنها المرادة من قوله تعالى: {**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**}، ومنها أنّها الكلمات الطيبات، ومنها أنها القرض الحسن في قوله تعالى: {**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم**}، ومنها أنَها الذكر الكثير في قوله تعالى: {**أذكروا الله ذكرا كثيرا**} {**والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**} اهـ.

ومن الأحاديث ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت، قال الحافظ المنذري: ورواه أيضا ابن ماجه والنسائي، وزاد وهن من القرآن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد روى الإمام أحمد عن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الكلام بعد القرآن وهن من القرآن أربع لايضرك بأيهن بدأت، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وروى الطبراني عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله اختار من الكلام أربعا ليس بقرآن وهن من القرآن، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ورواه البزار بنحوه، قال ابن علان في شرح الأذكار: قال ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: أفراد الكلمات الثلاث الأول في القرآن، وحينئذ فمعنى قوله: وهن من القرآن أن بعضها من القرآن باللفظ والمعنى، وبعضها منه في المعنى فقط .

وقد يستشكل في كون الباقيات الصالحات أحب الكلام إلى الله وأفضله مع أن القرآن أفضل وأحب إلى الله منها، وأجاب عن هذا الإشكال كثيرون من العلماء رحمهم الله، قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في أسنى المطالب شرح روض الطالب والهيتمي في حاشيته على الإيضاح وابن علان في شرحه على الأذكار في الكلام على سنن الطواف، وأما حديث مسلم: أحب الكلام إلى الله أربع إلخ فمحمول على أن المراد أحبه من كلام الآدميين أو لأن مفرداتها في القرآن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا، فقال: يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟ قلت: غراسا، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة، قال المنذري: رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال المنذري: رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملا؟ قالوا: يا رسول الله ومن يستطيع أن يعمل كل يوم عملا مثل أحد؟ قال: كلكم يستطيعه، قالوا: يارسول الله ماذا؟ قال: سبحان الله أعظم من أُحُدٍ، ولا إله إلا الله أعظم من أحُدٍ، والحمد لله أعظم من أحُدٍ، والله أكبر أعظم من أحُدٍ، قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والنسائي والطبراني والبزار قال الهيثمي: رجال الطبراني والبزار رجال الصحيح .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، فإن الله يؤتي بالمال من يحب ومن لا يحب، ولا يؤتي الإيمان إلا من أحب، فإذا أحب الله عبدا أعطاه الإيمان، فمن ضنّ بالمال أن ينفقه، وهاب العدو أن يجاهده، والليل أن يكابده، فليكثر من قول لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله، قال الهيثمي: رواه الطبراني موقوفا ورجاله رجال الصحيح.

أقول: وإن كان موقوفا لكنه كالمرفوع حكما؛ لأنه مما لا مدخل له في الرأي والله أعلم .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كتب له بكل حرف عشر حسنات، قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا بإسناد لا بأس به .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قلت: يارسول الله وما رياض الجنة؟ قال المساجد، قلت: وما الرتع؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر رواه الترمذي وقال: حديث غريب، قال المنذري: وهو مع غرابته حسن الإسناد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر في ذنب المسلم مثل الأَكِلَةِ في جنب ابن آدم، قال في الجامع الصغير: رواه ابن السني. والأكلة كفرحة: داء في العضو يأتكل منه كما في القاموس

وقال ابن البيطار: الأكلة وتسمى أيضا الجمرة: هي بثرة تأكل وتقرح حواليها بسرعة، وربما غارت فأظهرت العظم. فهي من الأمراض المهلكة ومن الأمراض المعدية اهـ.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها قال المنذري: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمر وقال: صحيح على شرط مسلم .

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي: أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يثبطكم الليل فلم تقوموه، وعجزتم عن النهار فلم تصوموه، وبخلتم بالمال فلم تعطوه، وجبنتم عن العدو فلم تقاتلوه، فأكثروا من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن الباقيات الصالحات .

وأخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني {**قل هو الله أحد**} و{**إذا زلزلت**} و {**قل يا أيها الكافرون**} وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقال: هن الباقيات الصالحات اهـ.

فهذه اثنا عشرة حديثا في فضائل الباقيات الصالحات منفردة عن غيرها، وأذكر أحاديث فيما إذا كان مع الباقيات الصالحات زيادة غيرها .

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر، فمن قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب له ثلاثون حسنة، وحطت عنه ثلاثون سيئة، قال المنذري: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان، لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه، قال المنذري: رواه النسائي واللفظ له والحاكم وصححه وغيرهما .

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله إني قد عالجت القرآن فلم أستطعه فعلمني شيأ يجزئ من القرآن، قال: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقالها وأمسكها بأصابعه، فقال: يا رسول الله هذا لربي فمالي؟ قال: تقول: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني وأحسبه قال: واهدني، ومضى الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذهب الأعرابي وقد ملأ يديه خيرا، قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مختصرا وزاد فيه: ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإسناده جيّد.

قوله: عالجت، في المختار المعالجة: المزاولة .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق المسلمين أو شوكة

أو عظما عن طريق المسلمين أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلمائة فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار قال المنذري: رواه مسلم والنسائي.

وفي سعادة الدارين قال الإمام السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين: حدثنا الثقة بإسناده عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: جاء إسرافيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: قل يا محمد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله العلي العظيم عدد ما علم الله تعالى وزنة ما علم الله تعالى اهـ

وذكر العلامة محمد اليمني في رسالة الأوراد الإدريسية أن أذكار شيخ الطريقة سيدي أحمد بن إدريس في أكثر أحيانه كانت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان قدس الله سره يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في طوافه، وكذلك إبراهيم الخليل، وأبونا آدم والملائكة قبلهم عليه الصلاة والسلام اهـ.

أقول: في شرح ابن علان على الأذكار أنه روى ابن ماجه وابن عدي والفاكهي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من طاف بالبيت سبعا لا يتكلم فيه إلا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله محيت عنه عشر سيئات، وكتبت له عشر حسنات، ورفعت له عشر درجات .

وفي ترشيح المستفيدين حاشية فتح المعين لسيدي علوي بن أحمد السقاف: قال الونائي: الأفضل أن يقول في طوافه: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا يأتي فيه بغيرها.

وفي شرح الإحياء للمرتضى الزبيدي: أن أبا طالب المكي قال في كتاب القوت حدثونا عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال: رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته، فقال لي: ما رأيت شيأ أنفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر اهـ.

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور: أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن البصري قال: رأى رجل في المنام أن مناديا نادى في السماء أيها الناس خذوا سلاح فزعكم، فعمد الناس وأخذوا السلاح، حتى أن الرجل ليجيء وما معه عصا، فنادى مناد من السماء ليس هذا سلاح فزعكم، فقال رجل من الأرض: ما سلاح فزعنا؟ فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

مهمة: اعلم أنهم اختلفوا في الأفضل من كلمات الباقيات الصالحات، فقال ابن علان في شرح الأذكار زعم الزمخشري أن التسبيح أفضل، ورد بأن التفضيل أمر شرعي ولم يثبت في ذلك شيء، وقيل: الحمد لله أفضل، واستدلوا على ذلك بحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما وهو إن الله اصطفى من الكلام أربعا إلخ. وقد ذكرناه آنفا، وفيه أن ثواب الحمد لله ثلاثون حسنة، وأن ثواب غيره عشرون حسنة، وبحديث: أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله، قالوا: جعل الحمد أفضل العبادات بجميع أفرادها، ومعلوم أن الذكر نوع من أنواع العبادات، فجعل أفضل هذا النوع لا إله إلا الله وأفضل جميع الأنواع الحمد لله. قال ابن حجر الهيتمي في شرحه على الأربعين النووية في شرح حديث الطهور شطر الإيمان والحمد لله يملأ الميزان وسبحان والحمد لله تملآن إلخ. وقد اتفقت

الأحاديث كلها على أن الحمد لله تملأن الميزان فهو أفضل من التسبيح، ثم قال بعد كلام: وبهذا الحديث يعلم أن الحمد لله أكثر ثوبا من لا إله إلا الله لما تقرر أن الحمد لله يملأ الميزان ولا يملأه لا إله إلا الله إلا مع ضم الله أكبر إليها. وقد حكى ابن عبد البر وغيره خلافا في ذلك، قال ابن عبد البر: قال النخعي: كانوا يرون أن الحمد لله أكثر الكلام تضعيفا. وقال الثوري: ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله. وقال آخرون: إن لا إله إلا الله أفضل. قال الهيتمي في شرح الأربعين وحجتهم ما في حديث البطاقة المشهورة عند أحمد والنسائي والترمذي أن لا إله إلا الله لا يعدلها شيء في الميزان، وروى أحمد: لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة الميزان ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن، وقال الملا علي بن سلطان قاري في المرقاة في شرح هذا الحديث: إن في هذا الحديث أصرح صريح على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر، وقال فيه أيضا في شرح حديث التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملأه، ولا إله إلا الله ليست لها حجاب دون الله حتى تخلص إليه، في هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن لا إله إلا الله أفضل من سبحان الله والحمد لله اهـ والحديث رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقوله تخلص بضم اللام أي تصل عنده.

وفي الشبرخيتي استدل بعضهم لأفضلية التهليل بحديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله .

وقال العزيزي في السراج المنير شرح جامع الصغير : يستفاد من حديث: أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله أن لا إله إلا الله أفضل من الحمد لله لأن الحمد لله ذكر وقال الحفني في حاشيته على الجامع

الصغير : أفضل الكلام على الإطلاق بعد القرآن لا إله إلا الله ثم الحمد لله ثم سبحان الله .

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري: يؤخد من حديث لو أن السموات السبع وعامرهن إلخ أن الذكر بلا إله إلا الله أرجح من الذكر بالحمد لله، وقال أيضا: قبيل هذا يظهر تفضيل لا إله إلا الله اهـ يعني تفضيلها من كل ذكر سواها اهـ.

وقد يستدل لأفضلية التهليل بما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أوصني قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها قال: قلت: يارسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أفضل الحسنات، وقال الزبيدي في شرح الإحياء: ادعى بعضهم أن الحمد لله أكثر ثوابا من التهليل، ورد بأن في خبر البطاقة المشهورة ما يفيد أن لا إله إلا الله لا يعدلها شيء اهـ.

وقد ألف الحافظ أبو بكر بن العربي كتابا فيهما سماه تفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل لكني لم أره والله أعلم .

فائدة: قال الشوكاني في تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين: اعلم أن الواو الواقعة بين الكلمات: سبحان الله والحمد لله إلخ لعطف بعضها على بعض فهل يكون الذكر بها بغير واو، فيقول الذاكر: سبحان الله الحمد لله لا إله إلا الله الله أكبر، أو يكون الذكر بها مع الوارد، فيقول الذاكر بها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؟ والظاهر الأول لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأنهم يقولون كذا وكذا فالمقول هو المذكور

من دون حرف العطف كسائر التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم .

قوله: سبحان الله والحمد لله: يعني يقولون هذه الكلمات على الكيفية المذكورة مرارا .

واعلم أن هذا هو ما في النسخة التي اعتمدت عليها لكن الذي في النسخ الأخرى كلها وجرى عليه العمل الآن باتفاق أهل حلقات التسبيح هذه الزيادة، فالظاهر أن هذه الزيادة من المتن وأنها سقطت من تلك النسخة التي اعتمدت عليها وهي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ياموسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يارسول الله قال: قل: لاحول ولا قوة إلا بالله .

لا حول ولا قوة إلا بالله

أقول: رو ى هذا الحديث البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان واللفظ لمسلم، فأما البخاري فقد ذكره في مواضع منها كتاب المغازي وكتاب القدر وفي موضعين من كتاب الدعوات، وبين ألفاظ رواياته اختلاف، فلفظ الرواية التي في المغازي: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياعبد الله بن قيس قلت: لبيك رسول الله قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة، قلت: بلى يارسول الله فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله .

ولفظ رواية كتاب القدر: ياعبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة؟ لاحول ولا قوة إلا بالله وفي موضع من كتاب الدعوات ياعبد الله بن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة أو قال: ألا

أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي موضع آخر من كتاب الدعوات أيضا: يا أبا موسى أو يا عبد الله ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة، قلت: بلى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأما مسلم فقد ذكره في ثلاثة مواضع من باب استحباب خفض الصوت للذكر وبين رواياته اختلاف أيضا، ففي رواية يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، فقلت: بلى يارسول الله قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه هي الرواية التي ذكرها المؤلف رحمه الله لكن فيها: يا موسى بدل يا عبد الله بن قيس، وهو تحريف من النساخ وخطأ من بعض ألسنة قائدي التسبيح، والصواب ما نقلته عن صحيح مسلم لأن موسى ليس إسما له حتى ينادى له به، بل اسمه عبد الله بن قيس وكنيته أبو موسى، وفي اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للحافظ السيوطي أنه ليس في الصحابة من اسمه موسى أصلا، ومر في بعض روايات البخاري يا أبا موسى، وكذلك في بعض روايات مسلم أيضا، وأترك ذكر الروايات الأخرى التي لمسلم أو لغيره خوف الإطالة.

وقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله يعني يقولون هذه الكلمة على التناوب المذكور مرارا.

واعلم أنه ورد في فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله أحاديث كثيرة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم رواه كما في تحفة الذاكرين الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، ورواه الطبراني في الأوسط .

وعن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ألا أدلك على باب من أبواب الجنة قال: وما هو؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله رواه كما في التحفة أيضا أحمد والطبراني، وقال الحافظ المنذري: وإسنادهما صحيح إن شاء الله ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطيهما .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مرّ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: من معك يا جبرائيل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا محمد مُرْ أمتك فليكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله قال المنذري: رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه.

وعن محمد بن إسحاق قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أسر ابني عوف فقال: أرسل إليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فأتاه الرسول فأخبره، فأكب عوف يقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقد، فسقط القد عنه فخرج، فإذا هو بناقة لهم فركبها، فأقبل فإذا هو بسرح القوم فصاح بهم فأتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة، فقالت أمه: واسوأتاه وعوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص علي أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بإبلك ونزل {**ومن يتق الله**

يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه} قال المنذري: رواه آدم بن إياس في تفسيره، وروى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقائها فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، قال المنذري: رواه الطبراني.

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أبطأ رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وهو بعض حديث طويل.

وفي التذكرة للقرطبي أن الحاكم أبا عبد الله قال: سئل الإمام محمد بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الضعفاء مَنِ الضعيف؟ قال: الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة. يعني في اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة، قال المؤلف أي الحافظ القرطبي: ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع.

وفي المشكاة قال مكحول: من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولامنجى من الله إلا إليه، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر، رواه الترمذي، قال القاري: المراد منه الفقر القلبي، ومكحول تابعي جليل كان مفتيا بالشام، وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله اهـ. قال المنذري: ورواه النسائي والبزار مطولا ورفعا: ولا ملجأ من الله إلا إليه، رواه الحاكم وصححه بلفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت: بلى يارسول الله قال: تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ ولامنجى من الله إلا إليه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: لاحول ولا قوة إلا بالله فقال رسول الله: تدري ما تفسيرها؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله قال الهيثمي رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل حسن والآخر منقطع. وفي شرح الإحياء للمرتضى الزبيدي أن الحافظ أبا بكر الخطيب أخرج في كتاب الإقتضاء أن نصر بن علي الجهضمي قال: سمعت أبي يقول: رأيت الخليل بن أحمد في المنام، فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي قلت: بم نجوت؟ قال: بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قلت: كيف وجدت علمك أعني العروض والأدب والشعر قال: وجدته هباء منثورا والله سبحانه وتعالى الموفق .

(ص) قال الله تعالى {بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى} وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة .

(ش) قوله: قال الله تعالى: {**بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى**} كلمة اسم صلة أي زائدة فهي للتأكيد، والمعنى: نزه ربك الأعلى، ذا العظمة والجلال.

قوله: الأعلى من العلو الذي هو القهر والغلبة، لا العلو في المكان، لاستحالته على الله تبارك وتعالى، وتنزه عما لا يليق بجلاله، ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والمأتريدية على أن الجهة والمكان مستحيلان على الله عز وجل، وقد أخطأ في المسألة القدرية والمعتزلة فقالا: إن الله في كل مكان، وأخطأ فيها أيضا الكرامية والمجسمة وهم الحشوية،

فالكرامية يثبتون للمولى جهة العلو من غير استقرار على العرش، والمجسمة ويقال لهم: المشبهة يصرّحون بالإستقرار على العرش، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

والمسئلة مبسوطة في كتب العقائد فانظرها، واحذر عن اتباع الهوى والزيغ عن سنن الهدى، فإنه قد زلت في المسألة أقدام كثيرين، خصوصا في هذا الزمان الذي كثر فيه التعصب والعناد، وانتشر فيه الجهل والجدال، فتراهم مصممين على ما لا يقبله العقل والنقل، فلا حول ولا قوة إلا الله .

واعلم أن اطلاع الصواب في هذه المسألة يحتاج إلى مزيد اعتناء وبذل الجهد في البحث عن اليقين، وادمان النظر في الكتب المؤلفة فيها، ومن أحسنها: دفع شبه التشبيه للحافظ ابن الجوزي، والسيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للإمام الحافظ المجتهد تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، وتصنيف الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جبريل الكلابي المتوفى سنة ٧٣٣ الذي ألفه في رد ابن تيمية في قوله بالجهة، وهذا الكتاب نحو أربعين صفحة نقله التاج السبكي في الجزء الخامس من طبقاته، وألف فيها كثير من المتأخرين فأفادوا وأجادوا رحمهم الله، وليحذر المؤمن الذي يضن بدينه ويهتم بسلامة عقيدته أن يغتر بما في كتاب الملل والنحل لابن حزم الظاهري وكتاب العرش لابن تيمية ونونية ابن القيم والعلو للذهبي وما شاكلها، وقد رأينا والأمر لله من اغتر بذلك فنسب للواحد القهار ما لا يليق بجلاله وكماله، من الجهة والمكان، ثم ادعى أن افتراءه هذا هو مذهب الحفاظ والمحدثين، ومذهب السلف الصالح، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نسأل الله أن

يميتنا على اعتقاد أهل السنة والجماعة، ويحشرنا في زمرة الصالحين من عباده .

واختلف الفقهاء في حكم القائلين بالجهة قال ابن حجر الهيتمي في شرحه على مختصر بافضل: حكى القرافي وغيره عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقون بذلك لكنه قال في التحفة إن مدعي الجسمية أو الجهة إن زعم واحدا من اللون أو الاتصال بالعالم أو الإنفصال عنه كفر وإلا فلا، وقال الرملي في فتاويه: من قال: إن الله في جهة مسلم وإن كان مبتدعا اهـ.

والكلام في المسألة فيه طول، والحاصل أن الراجح في مذهبنا ما قاله الهيتمي في التحفة .

قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من سبح الله مائة بالغداة إلخ بعض حديث طويل رواه الترمذي وحسنه، ففي المشكاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله، ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما أتى به إلا من قال مثل ذلك أو زاد على ما قال، رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن، ورواه النسائي وسيأتي لفظه في مبحث التكبير إن شاء الله .

قال الترمذي في سننه: حدثنا محمد بن الوزير الواسطي أخبرنا أبو سفيان الحميري عن الضحاك بن حمرة عن عمرو بن شعيب إلخ قال الحافظ العسقلاني في التقريب: محمد بن الوزير ثقة عابد وأبو سفيان الحميري صدوق والضحاك بن حمرة ضعيف اهـ.

فتحسين الترمذي له يحتمل أنه حسن لغيره ويحتمل أنه يرى سلامة الضحاك بن حمرة من أسباب الضعف والله أعلم .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في مقدمة المجموع : اختلف العلماء في الاحتجاج برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسببه أن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص جده الأدنى محمد تابعي وجده الأعلى وهو عبد الله صحابي فإن أراد بجده الأدنى وهو محمد فالحديث مرسل لا يحتج به، وإن أراد بجده الأعلى وهو عبد الله كان الحديث متصلا واحتج به، فإذا أطلق ولم يبين به احتمل الأمرين، فذهب أكثر المحدثين إلى صحة الإحتجاج به وهو الصحيح المختار. وروى عن البخاري رحمه الله أنه سئل أيحتج به؟ فقال: رأيت أحمد بن حنبل وعلى بن المديني والحميدي وإسحاق بن راهويه يحتجون بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ماتركه أحد من المسلمين، ثم قال النووي: هذا ما قاله المحققون من أهل الحديث والأكثرون وهو أهل هذا الفن، وعنهم يؤخذ، ويكفي في ذلك ما ذكرناه عن إمام المحذثين البخاري، ودليله أن ظاهر الجد الأشهر المعروف بالرواية وهو عبد الله، انتهى ما نقلته عن مقدمة المجموع باختصار .

وقد اعترض من له أدنى إلمام بفن الحديث حينما سمع قائد حلقة التسبيح يقرأ هذا الحديث فقال لي: يلوح من هذا الحديث لائحة الوضع، فحملني ذلك على الكلام في إسناد هذا الحديث، ونقل عبارة النووي إمام المحدثين والفقهاء بذلا للنصيحة لمن قد يغتر فيقول ماليس له به علم، والله الهادي إلى سواء السبيل .

والمصنف رحمه الله ذكر الباقيات الصالحات أولا مجملة ثم ذكرها ثانيا مفصلة كلمة، كلمة فبدأ بها سبحان الله، وذكر في الترغيب فيها آية واحدة وحديثا واحدا، والآيات الواردة في مطلق التسبيح بدون تقييده بالعشي والإبكار وبدون اقترانه بالحمد كثيرة معروفة، وكذلك الأحاديث في ترغيبه كثيرة أيضا فمن الآيات قوله تعالى: {**سبح لله ما في السموات وما في الأرض**} وقوله تعالى: {**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صآفات**} وقوله تعالى حكاية عن الملائكة:{**وإنا لنحن الصآفون وإنا لنحن المسبحون**} وقوله تعالى في وصفهم: {**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**} وقوله تعالى في وصفهم أيضا: {**فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**} وقوله تعالى: {**ألم أقل لكم لو لا تسبحون قالوا سبحان ربنا**} وقوله تعالى في شأن يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: {**فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**} وقوله: تعالى في وصف أهل العلم: {**إن الذين أوتو العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا**} وقوله تعالى حكاية عن موسى الكليم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: {**واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي**}

إلقوله تعالى: {**كي نسبحك كثيرا**} وقوله تعالى: {**ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا**}.

ومن الأحاديث ما رواه مصعب بن سعد رضي الله عنه قال: حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فكتبت له ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطيئة قال المنذري: رواه مسلم هكذا ورواه الترمذي والنسائي أيضا لكن بلفظ وتحط بالواو بغير ألف.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بكل تسبيحة صدقة وهو بعض حديث طويل، قال المنذري: رواه مسلم وابن ماجه.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل وهو بعض حديث طويل أيضا يأتي بتمامه في مبحث التهليل، قال المنذري: رواه أحمد بإسناد حسن والنسائي والبيهقي وغيرهم وذكرنا حديث التسبيح نصف الميزان .

وعن شريح العابد قال: بلغني أنه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لأصاب كل واحد منهم خير .

فائدة: تدفع المصائب بالتسبيح، قال النووي في شرحه على أربعينه قد نص الله في كتابه أن العمل الصالح ينفع عند الشدة وينجي فاعله، قال تعالى

حكاية عن يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: {**فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**} اهـ.

وقال النبهاني في سعادة الدارين نقلا عن شيخ الإسلام زكريا أنه وقع في نسخة الحلية عن الإمام الشافعي: أحسن ما يداوى به الطاعون التسبيح. قيل: لأن الذكر يدفع العقوبة والهلاك قال تعالى: {**فلولا أنه كان من المسبحين**} والمعروف عن الشافعي ما ذكره ابن أبي حاتم وغيره لم أر للوباء أنفع من البنفسج يدهن به ويشرب.

وفي كتاب الجواب الكافي لابن القيم الجوزية: قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح اهـ.

وفي كتاب حجة الله على العالمين للنبهاني أن القشيري رحمه الله قال: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: رأى الجريري الجنيد في المنام فقال له: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات .

تنبيه: كثر الكلام في السبحة هل لها أصل في السنة أم لا؟ وهل الأفضل عدّ الأذكار بها أو بالأصابع؟ فمنعها البعض محتجين بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يأخذها ولم يستعمل بها لحساب الأذكار وعدها، فهي بدعة منهي عنها، والحق الذي لا محيد عنه أنها جائزة، بل هي مطلوبة مستحسنة لدى المحبين للأذكار، المكثرين لها في الليل والنهار، وقد تكلم عنها كثير من الأئمة الأخيار، منهم الإمام النووي، فقال في كتاب تهذيب الأسماء واللغات يعتادها أهل الخير .

وقال القاري في المرقاة شرح المشكاة في الكلام عن حديث صفية الآتي أن هذا الحديث أصل صحيح لتجويز السبحة بتقريره صلى الله عليه وسلم، إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة، ولا يعتد بقول من عدها بدعة، وقد قال المشايخ: إنها سوط الشيطان، وقال أيضا في شرح حديث يسيرة رضي الله عنها الآتي: إن في هذا الحديث جواز عد الأذكار، ومأخذ سبحة الأبرار، وقال في موضع آخر من المرقاة: جاء بسند ضعيف عن علي رضي الله عنه مرفوعا نعم الذكر المسبحة اهـ.

هكذا رأيته في نسخة المرقاة ويأتي عن المنحة للسيوطي وعن تحفة أهل الفتوحات ما يخالفه لفظا والله أعلم بالصواب، ومعناه حينئذ نعم المذكر لذكر الله والمسبحة بكسر الميم وفتح الحاء اسم لآلة التسبيح، وهي المخصوص بالمدح والله أعلم .

وألف الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله جزء لطيفا في السبحة سماه المنحة في السبحة فقال في أوله فقد طال السؤال عن السبحة هل لها أصل في السنة ؟ فجمعت هذا الجزء متتبعا فيه ما رود فيها من الأحاديث والآثار .

١. أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي والسنائي والحاكم وصححه عن ابن عمر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده.

٢. وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي والحاكم عن يسيرة رضي الله عنها وكانت من المهاجرات قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين التوحيد، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات.

٣. وأخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديّ أربعة آلاف نواة أسبح بهن إلى آخر الحديث وقد ذكرناه.

٤. وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة، وبين يديها نوى أو حصى تسبح إلى آخر الحديث وذكرناه بتمامه أيضا في شرح حديث جويرية رضي الله عنها، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن علي رضي الله عنه مرفوعا: نعم المذكر السبحة .

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى، وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد أنه كان لأبي هريرة رضي الله عنه خيط فيها ألفا عقدة، فلا ينام حتى يسبح به . وقال عكرمة: إن أبا هريرة كان له خيط فيه ألفا عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثنتى عشرة ألف تسبيحة .

وأخرج أحمد في الزهد أنه كان لأبي الدرداء رضي الله عنه نوى من نوى العجوة في كيس، فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفذن .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد أن أبا صفية رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يسبح بالحصى.

وفي معجم الصحابة للبغوي وتاريخ ابن عساكر أن أبا صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان يوضع له نطع، ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح

به إلى نصف النهار، ثم يرفع فإذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي.

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان يسبح بالحصى.

وذكر الحافظ عبد الغني في الكمال أن أبا الدرداء عويمرا رضي الله عنه كان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة.

وكان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ، ومن المعلوم المحقق أن المائة ألفا بل والأربعين ألفا لا يحصر بالأنامل، فقد صح بذلك وثبت أنهما كانا يعدان بآلة.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه أنه كان في يد أبي مسلم الخولاني سبحة يسبح بها، فقام والسبحة في يده فاستدارت السبحة، فالتفت على ذراعه، وجعلت تسبح، فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذارعه وهي تقول: سبحانك يا منبت النبات، ويا دائم الثبات، فقال: هلم يا أم مسلم وانظري إلى أعجب الأعاجيب، فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبح، فلما جلست سكنت، وكان للشيخ أبي الوفاء كاكيش ومعناه بالعربية عبد الرحمن سبحة، وأعطاها لسيدي الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله أرواحهم، فكانت إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة .

وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه رؤي في يد أبي القاسم الجنيد بن محمد سبحة، فقيل: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ قال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه، قال يعني ابن خلكان: وقد رويت في ذلك

حديثا مسلسلا إلى الحسن البصري فذكره بسنده مسلسلا بالسبحة يقول: كل واحد من رجال سنده إني رأيت في يد شيخي سبحة، فقال آخرهم: رأيت أستاذي الحسن البصري وفي يده سبحة فقلت: يا أستاذ مع عظم شأنك، وحسن عبادتك، وأنت إلى الآن مع السبحة؟، فقال لي: شيء كنا استعملناه في البدايات، ما كنا نتركه في النهايات، أحب أن أذكر الله في قلبي وفي يدي ولساني. ثم قال أي السيوطي: فلو لم يكن في اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة والدخول في سلكهم والتماس بركتهم لصارت بهذا الإعتبار من أهم الأمور وآكدها، فكيف بها وهي مذكرة بالله تعالى؛ لأن الإنسان قَلَّ أن يراها إلا ويذكر الله، وهذا من أعظم فوائدها، وهي استعانة أيضا على دوام الذكر كلما رآها ذكر أنها آلة للذكر فقاده ذلك إلى الذكر، فياحبذا سبب موصل إلى دوام ذكر الله عز وجل، وكان بعضهم يسميها حبل الوصل، وبعضهم رابطة القلوب، ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة، بل كان أكثرهم يعدونه بها، ولا يرون ذلك مكروها، ورؤي بعضهم يعد تسبيحا فقيل: له أتعد على الله؟ قال: لا، ولكن أعد له. وقال بعض العلماء: عقد التسبيح بالأنامل أفضل لحديث ابن عمر، ولكن يقال إن المسبح إن أمن من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل وإلا فالسبحة أولى، انتهى ما لخصته من تأليف الحافظ السيوطي.

قوله: يسيرة بضم الياء المثناة وفتح السين المهملة، وقوله: نطع أي الجلد المدبوغ، ففي المصباح: النطع المتخذ من الأديم، وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها وفتح الطاء وسكونها اهـ.

وقال ابن علان: قال ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: ويستفاد من الأمر بالعقد المذكور في الحديث ندب اتخاذ السبحة، وزعم أنها بدعة غير صحيح إلا أن يحمل على تلك الكيفيات التي اخترعها بعض السفهاء من اتخاذها للزينة أو الرياء أو اللعب اهـ.

وذكر ابن علان أنه ألف جزء لطيفا في السبحة سماه إيقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ المسابيح وذكر فيه أن استعمال السبحة في عد الأذكار الكثيرة أفضل من العقد بالأنامل، وفي غير الكثيرة سيما الأذكار عقب الصلاة فالعقد بالأنامل فيها أفضل اهـ.

وفي المرقاة قال ابن حجر الهيتمي: قيل: وعقد التسبيح بالأنامل أفضل من المسبحة، وقيل: إن أمن الغلط فالعقد أولى وإلا فهي أولى اهـ.

ومما ألف في السبحة أيضا كتاب تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق وقد أكثر مؤلفها النقول فيها، ومما قال فيها: إن السبحة لا لوم في اتخاذها ولا في جعلها في الأعناق ثم شدد الإنكار على من جعلها بدعة، وأطال في الاستدلال على رده بما يطول ذكره كحديث على المرفوع: نعم المذكر السبحة، ثم قال: إن السبحة آلة الجهاد الأكبر يعني جهاد النفس، فينبغي احترامها وتعظيمها بجعلها في العنق إذا فرغ من استعمالها، وفي المنن للشعراني أنه قال: لقد وقعت رجلي مرة على السبحة فكدت أهلك من ذلك إكراما لها، ونقل عن الإمام الساحلي أنه قال: لا بد لأهل الأوراد الكثيرة والأذكار المتواصلة من السبحة؛ إذ لا يمكنهم العدّ بالأصابع، ثم قال: وهذه حكمة السبحة، وذكر كثيرا من العلماء كانت لهم السبحة، منهم الإمام سحنون، فقد قال بعضهم دخلت

على سحنون وفي عنقه سبحة يسبح بها، وذكر الشعراني في طبقاته الصغرى أن الشيخ أحمد الكعكي كانت له سبحة فيها ألف حبة، فسرق إنسان منها سبع حبات، فرأي الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا أحمد، فلان سرق من سبحتك سبع حبا ولك كذا كذا يوما تصلي عليّ ناقصا عن العدد، فذهب إلى ذلك السارق، فقال صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجها له، وكان للشيخ الأكبر سيدي عبد السلام بن مشيش سبحة عظيمة، ومعلوم أن التقليد في الفروع مأمور به شرعا بقوله تعالى: {**فاسئلوا أهل الذكر**} الآية، وكل من قلد عالما لقي الله سالما انتهى ما لخصته من تحفة أهل الفتوحات.

وفي طبقات الشافعية الكبرى للمحقق تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي أن الشيخ الإمام إبراهيم بن علي أبا إسحاق الشيرازي بلغ في بعض أسفاره إلى بلدة "شأوة" من بلاد العجم، فخرج إليه صوفيات البلد ومع كل منهن سبحة فألقت كل منهن سبحتها إلى المحفة، وقصدهن أن يلمسها لتحصل لهن البركة، فجعل يمرها على يديه وجسده ويتبرك بهن، ويقصد في حقهن ما قصدن في حقه اهـ.

المحفة كما في اللسان رحل يحف بثوب ثم تركب فيه المرأة، وقيل: المحفة مركب النساء كالهودج إلا أن الهودج يقبب والمحفة لا تقبب، أي لا تجعل لها قبة اهـ.

وكان لسيدي الشيخ علي ميه سبحة فيها ألف حبة، وقد رأيتها والحمد لله في بيت سيدي الشيخ أبي علي بن الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه، وقد أخبرني من أثق به أنه كان لدى الشيخ حسين بن الشيخ عبد من خلفاء

سيدي الشيخ علي ميه، فنام الشيخ فلمع نورا كل حبة من حبات سبحته، واستدارت السبحة من أولها إلى آخرها، وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله، وكان هناك جماعة فرأى كل منهم ذلك وعجبوا، ولما تم دورانها استيقظ الشيخ وعادت السبحة إلى حالتها الأولى .

فالحاصل أن اتخاذ السبحة مطلوب محبوب، وللوسائل حكم المقاصد، ولا يشك عاقل منصف أن المقصود منها التوسل إلى إكثار ذكر الله تعالى، وترغيب النفوس فيه، وتهييج الهمم إلى دوام الأوراد ودفع الكسل والملل عنها؛ إذ لا يخفى عن عاقل أن حساب الأوراد الكثيرة بالأنامل يورث الفتور، ويضعف القلوب، ويخرس الفطنة ويشغلها عن التدبر المطلوب فيها، ولا شك أن تكليف الناس على جمع الأحجار لحساب الأذكار يكون سببا للإهمال والإعراض عن الأوراد، فعياذا بالله أن نكون من المعوقين المثبطين عباد الله عن عبادته، فتحذير الناس عن السبحة بادعاء أنها بدعة تعسف وتنطع وغلو في الدين، وفي ديننا من السماحة والسهولة ما لا يخفى عن ذي بصيرة، فقد وضع الله عنا الأغلال التي كانت على من قبلنا فله الحمد والمنة .

واعلم أن العمل بالحديث الضعيف في الفضائل جائز باتفاق العلماء بشروط معلومة، فحديث على رضي الله عنه المذكور يكفينا دليلا وحجة لاتخاذ السبحة، ومعلوم أن الأمة استحسنتها من عهد التابعين إلى عصرنا هذا، ولم ينقل عمن يعتد بخلافه منعها، ولله در من قال:

وليس كل خلاف جاء معتبرا   إلا خلاف له حظ من النظر

وكل ما استحسنه المسلمون فهو عند الله حسن؛ إذ لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة كما قال من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، فالحسن البصري كان له سبحة وكان من أكابر التابعين، وكذا خالد بن معدان الكلاعي تابعي جليل توفي سنة خمس وأربعين ومائة، وكان لمعروف الكرخي سبحة، وكذا سري بن مغلس السَقَطِي وغيرهم من خلائق لا يحصون، بل لا فرق بينها وبين الحَصَى والنوى التي كانت صفية رضي الله عنها تسبح بها، وأقرها على ذلك النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكذلك لا فرق بينها وبين العقد التي في خيط أبي هريرة رضي الله عنه، ولم ينقل أن أحدا من الصحابة رضي الله عنهم أنكر عليه ورمى عليه التبدع باتخاذ هذه العقد، ومعلوم أنهم رضوان الله عليهم لا يسكتون على منكر، ولا يخافون في الله لومة لا ئم فما أشبه هذا بالإجماع السكوتي .

فإذا علمت ذلك علمت أن هؤلاء المانعين في هذه الأيام عن اتخاذ السبحة معاندون مغرورن، وعن الصواب مبعدون، وهم قطاع الطريق عن السائرين إلى الله، المكثرين بالأذكار آناء الليل وأطراف النهار، {**ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون**} والله سبحانه وتعالى الموفق، وهو الهادي إلى طريق الرشاد والصواب .

تنبيه آخر: قد علم مما ذكر أن الخلائق كلها تسبح لربها، فاختلف العلماء في ذلك فقال قوم: تسبيحها بلسان الحال، فكل فرد من أفراد العا لم ينزه ربه ويقدسه بدلالته على وجوده تعالى واتصافه بجميع الصفات الكمالية كالقدرة والإرادة والعلم وغيرها، فالناطق من المخلوقات كالملائكة والمؤمنين

من الثقلين يسبح له بلسان المقال، وغيره يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود، وهذه الدلالة تسبيح بلسان الحال للواحد الكبير المتعالى،

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فمعنى قوله تعالى: {**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**} أن ينزهه بلسان مقاله إن كان ناطقا وبلسان حاله إن كان غير ناطق .

وقال قتادة في تفسير هذه الآية يسبح كل شيء فيه روح كالحيوان والنبات، وسئل الحسن البصري عن خوان قدم له بطعام، فقيل له: أيسبح هذا الخوان؟ فقال كان يسبح مرة، يعني أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحة، والخوان: المائدة من الخشب، وقد يستأنس لهذا القول حديث وضعه صلى الله عليه وسلم جريدة رطبة على قبرين، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وقال آخرون: تسبيح الخلائق كلها بلسان المقال، سواء الجامد وغيره والصامت والناطق، قال ابن كثير: هذا أشهر القولين.

وفي الفتوحات الإلهية: أن جمهور السلف على هذا القول اهـ.

روى ابن جرير الطبري عن عكرمة أنه قال: الشجرة تسبح، والأسطوانة تسبح، وروى عنه أيضا أنه قال: لا يعيبن أحدكم دابته ولا ثوبه فإن كل شيء يسبح بحمده اهـ.

وفي تفسير ابن كثير قال بعض السلف: صرير الباب تسبيحه، وخرير الماء تسبيحه.

وقال بعضهم: الطعام يسبح اهـ.

واستدل أصحاب هذا القول بأن هذا هو ما دل عليه ظاهر القرآن الكريم في آيات كثيرة، قال الله تعالى: {**سبح لله ما في السموات وما في الأرض**} وقال تعالى: {**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**} وقال تعالى: {**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق**} وغير ذلك من الآيات، وقال ابن كثير في تفسيره: روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وروى عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: اركبوها سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرا لله منه.

وفي سنن النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع، وقال: نقيعها تسبيح يعني صوتها.

ورِوي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني آمرك أن تقول: سبحان الله، فإنها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزقون، انتهى ما في تفسير ابن كثير .

وروى أبو داود واللفظ له، ورواه أيضا كما قال المنذري والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهكلت أمة من الأمم تسبح ؟ قال

الحافظ المنذري: هذا النبي هو عزير عليه السلام اهـ ومعلوم أن في نبوة عزير اختلافا بين العلماء .

وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ماصيد صيد ولا قطعت شجرة إلا بتضييع التسبيح. قال العزيزي في شرح الجامع الصغير : وفي حديث أحرجه أبو الشيخ ما أحذ طائر ولا حوت إلا بتضييع التسبيح .

وفي الرسالة للإمام أبي القاسم القشيري: روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع صوت ناقوس، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: سبحان الله حقا حقا إن المولى صمد يبقى اهـ.

وقال سيدي القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ في الإبريز أن العروق التي في الجانب الأيمن تسبح الله كثيرا بخلاف التي في الشمال اهـ

وفي الطبقات للشعراني قال العارف بالله داود بن ماخلا: كل كون يسبح، يقول في تسبيحه: أنزه خالقي عن ادراكي له.

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم في باب فضل المدينة في كتاب الفضائل: الصحيح في معنى آية {**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**} يسبح حقيقة بحسب حاله، ولكن لا نفقه، فيجعل الله تعالى فيه تمييزا كما جعله في الحجر الذي فَرَّ بثوب موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، وكما في كلام الذراع المسمومة، وكما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ، وكما سبح الحصى، وكما دعا الشجرتين المتفرقتين فاجتمعتا، وكما رجف حراء، فقال: اسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق الحديث، وكما قال سبحانه وتعالى: {**وإن منها**

لما يهبط من خشية الله}، وكما حن الجذع اليابس، انتهى ما نقلته من شرح مسلم للنووي ملفقا .

وقد يسمع الكاملون من عباد الله هذا التسبيح، فقد ذكر القطب الشعراني في المنن أنه سمع مرة تسبيح ذرات الوجود، وكذالك سيدي الشيخ علي ميه ذكر في كتابه تذكرة اللبيب أنه كوشف له في رمضان الكون، فسمع كل ذرة منه تسبح الله اهـ.

والله غالب على أمره، ويفعل ما يريد، ويختص من شاء بما شاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال المصنف:

(ص) قال الله تعالى {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل مائة فرس في سبيل الله أو غزا مائة غزوة في سبيل الله

(ش) قوله: قال الله تعالى {**الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق**} الآية حكاية عن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين حمد ربه على ما وهب له، ونحن مأمورون باتباعه قال الله تعالى: {**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا**} وقال الله تعالى: {**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا**} ففي الآية التي ذكرها المصنف رحمه الله الأمر بحمد الله تعالى .

فائدة: قال السيوطي في الإكليل قال بعض أصحابنا: يستحب لمن رزق ولدا على كبر أن يسميه إسماعيل اقتداء بالخليل عليه السلام اهـ بلفظه.

وقوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي إلخ، وراه الترمذي وحسنه كما مر بلفظ: من حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله، ورواه أيضا كما سيأتي إن شاء الله في مبحث التهليل خلائق، منهم الإمام أحمد بإسناد حسن عن أم هانئ رضي الله عنها .

تنبيه: الحمد لغة الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله هذا ما قاله النووي في تهذيب الأسماء واللغات. وقال بعضهم: هو الوصف بالجميل سواء تعلق بالفضائل أي الصفات التي لا يتعدى أثرها للغير كالحسن والعلم أم بالفواضل أي الصفات المتعدى أثرها للغير كالتعليم والإعطاء.

وقال في المختار هو ضد الذم، وهذه العبارات مترادفة أو متقاربة . وفي ألقاموس الحمد: الشكر، وفي شرحه لم يفرق المصنف بين الحمد والشكر، وتبع في ذلك اللحياني، والحمد عرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الحامد أو غيره، وهذا هو الشكر لغة، وأما اصطلاحا فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من الجوارح والحواس إلى ما خلق لأجله من الطاعات، فالحمد أعم من الشكر عند الجمهور.

قال النووي: فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر. وروى الحافظ ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن بعض الصالحين أنه كان يقول: الشكر ترك المعاصي .

فائدة: للحمد فضائل كثيرة وأجور عظيمة، ورد فيه من الكتاب والسنة وأقوال الصالحين مالا يحصى من ترغيبات فيه، ونذكر تبركا طرفا من الأحاديث الواردة فيه .

١. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم قال المنذري: ورواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه إلا أنهما قالا: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع.

قلت: وحسن هذا الحديث ابن الصلاح والنووي في أذكاره، والحافظ العسقلاني وشيخه العراقي .

٢. عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: التأني من الله والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد، قال المنذري: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

٣. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء قال الهيثمي رواه الطبراني في الثلاثة أي معجمه الكبير والأوسط والصغير، ورواه البزار بنحوه، وإسناده حسن، وقال المنذري: ورواه أيضا ابن أبي الدنيا والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال في المشكاة رواه البيهقي في شعب الإيمان .

٤. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فحمد الله عز وجل عليها إلا

كان ذلك أفضل من تلك النعمة وإن عظمت، قال المنذري: رواه الطبراني وفيه نكارة، وقال الهيثمي: فيه متروك .

٥. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال: الحمد لله إلا أدى شكرها، فإن قالها ثانيا جدد الله له ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه قال المنذري: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ثم قال المنذري: في إسناده عبد الرحمن بن قيس واهي الحديث .

٦. وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وكل تحميدة صدقة رواه مسلم في حديث طويل .

٧. وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان- الحديث رواه مسلم.

٨. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليرضى عن العبد، يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها، رواه كما قال ابن كثير في تفسيره مسلم والترمذي والنسائي والطبراني .

٩. وعن أسود بن سريع قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يارسول الله إني حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ومدح وإياك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إن ربك تبارك وتعالى يحب المدح- الحديث، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح، ورواه الطبراني بنحوه، وفي رواية عند الطبراني: إن ربك يحب

الحمد بدل المدح، ذكر هذا الحديث الحافظ الهيثمي في كتاب الأدب، وكتاب المناقب، بتمامه وفي كتاب الأذكار مختصرا .

١٠. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: ما ذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد قال النووي في الأذكار: رواه الترمذي وحسنه، وقال ابن علان في شرحه: ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه، وقال الحافظ حديث حسن .

١١. وعن الحسن بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثمن الجنة لا إله إلا الله وثمن النعمة الحمد لله قال العزيزي والنبهاني: رواه الديلمي وزاد النبهاني وسنده يعمل به .

فائدة: للحمد صيغ كثيرة الثواب عظيمة الأجور .

منها: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، روى هذه الصيغة أبو داود والنسائي، وهذا اللفظ له كما قال المنذري، ورواه ابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، وقال الحافظ: حديث حسن، ولفظ أبي داود عن عبد الله بن غنام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليله، وإسناده جيد، وهذه الصيغة ذكرها المصنف رحمه الله في أوراده المسماة "مرحبا"، وذكرها الإمام شيخ المصنف

سيدي أحمد بن إدريس في كتابه العقد النفيس، وقال فيه: معنى هذا الحديث أن من قال: كذلك صباحا أومساء فقد صار نائبا عن جميع المخلوقات ناطق وصامت وجامد ومائع، ومسلم وكافر في الحمد، فيعود عليه أجر ذلك الحمد عن كل فرد من المخلوقات، وهذا شيء لا يعلمه ولا يحصره إلا الله سبحانه وتعالى، فسبحانه ما أكرمه جل وعلا، يجازي بهذا الجزاء الذي لا يعد ولا يحصى عن كلمة واحدة، ثم انظر بلاغة كلام من لا ينطق عن الهوى الذي أعطي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم اه بلفظه .

وقال العلامة الشوكاني في تحفة الذاكرين في شرح هذا الحديث: إن فيه فضيلة عظيمة، ومنقبة كريمة، حيث تكون تأدية واجب الشكر بهذه الألفاظ اليسيرة، وأن قائلها صباحا ومساء قد أدى شكر يومه وليلته مع أن الله يقول: {**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**} وإذا كانت النعم لا يمكن إحصاؤها فكيف يقدر العبد على شكرها، فلله الحمد وله الشكر على هذه الفائدة الجلية، المأخوذة من معدن العلم ومنبعه اه.

ومنها: ما روى الطبراني في الأوسط عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه نزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: يامحمد إن سرك أن تعبد الله ليلة حق عبادته فقل: اللهم لك الحمد حمدا خالدا مع خلودك، ولك الحمد حمدا دائما لا منتهى له دون مشيئتك، وعند كل طرفة عين وتنفس نفس قال الهيثمي: وفي إسناده على بن الصلت ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

ومنها: ما رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إذا سرك أن تعبد الله ليلة حق عبادته أو يوما فقل: اللهم لك الحمد حمدا كثيرا خالدا مع خلودك، ولك الحمد حمدا لا منتهى له دون علمك، ولك الحمد حمدا لا منتهى له دون مشيئتك، ولك الحمد حمدا لا آخر لقائله إلا رضاك، قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: فيه انقطاع بين علي ومن دونه، وهاتان الصيغتان المتقاربتان في الألفاظ ذكرهما سيدي أحمد بن إدريس قدس الله سره في أحزابه في ضمن المحامد الثمانية المشهورة، لكن بين ألفاظيهما بعض اختلاف في النقص والزيادة .

ومنها: ما روي عن أبي أمامة الباهلي قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالس أحرك شفتي قال: بم تحرك شفتيك؟ قلت: أذكر الله يا رسول الله، قال: أفلا أخبرك بشيء إذا قلته ثم دأبت الليل والنهار لم تبلغه، قلت: بلى، قال: تقول: الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد ما في كتابه، والحمد لله عد ما أحصى خلقه، والحمد لله ملء ما في خلقه، والحمد لله ملء سمواته وأرضه، والحمد عدد كل شيء، والحمد على كل شيء، وتسبح مثل ذلك، وتكبر مثل ذلك، قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني من طريقين وإسناد أحدهما حسن.

وفي الترغيب والترهيب مثل هذا، إلا أن فيه الحمد لله ملء ما أحصى كتابه بدل الحمد لله عدد ما في كتابه.

وفي رواية أخرى للطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لأبي أمامة رضي الله عنه: تقو:ل الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما

خلق، والحمد عدد ما في السموات وما في الأرض، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، وتسبح الله مثلهن، ثم قال: تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك، قال الهيثمي: في إسناده رجل مدلس.

قوله: دأبت الليل والنهار أي تعبت فيهما بذكر الله تعالى، قال في المختار دأب في علمه جدّ وتعب.

فانظر يا أخي كيف أكّد صلى الله عليه وسلم على تعلم هذه المحامد بقوله لأبي أمامة تعلمهن إلخ.

ومنها ما رواه البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الدعاء خير أدعو به في صلاتي؟ قال: نزل جبريل عليه السلام فقال: إن خير الدعاء أن تقول في الصلاة: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، وإليك يرجع الأمر كله، وأسألك من الخير كله، أعوذ بك من الشرك كله، اهـ ترغيب والترهيب .

فائدة أخرى: اختلفوا في أفضل صيغ الحمد، ففي الإكليل للحافظ السيوطي: قال السراج البلقيني: أجل صيغ الحمد: الحمد لله رب العالمين؛ لأنها فاتحة الكتاب، وخاتمة دعوى أهل الجنة، فتتعين هذه الصيغة في بر من حلف ليحمدن الله بأجل التحاميد خلافا لما في الروضة وأصلها عن المتولي أن أجلها الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

وفي الفتوحات الألوهية شرح الأربعين النووية للشيخ إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبراخيتي المالكي: قيل: إن أفضل المحامد أن يقال: الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم، زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم، وأحتج له بما روي أن رجلا قال: هذه الكلمات

بعرفات، فلما كان من العام المقبل حج وأراد أن يقولها فسمع قائلا يقول: يا عبد الله اتعبت الحفظة، فإنهم يكتبون ثواب هذه الكلمة من العام الماضي إلى الآن اهـ.

أقول: ذكر هذه الصيغة سيدي أحمد بن إدريس قدس الله سره في أول محامده الثمانية وفي الفتاوي الفقهية الكبرى للإمام ابن حجر الهيتمي: المعتمد أن أفضل صيغ الحمد الحمد لله حمد يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ولي فيه بحث، وهو أن الذي دلّ عليه المعنى ودلت عليه السنة أن أفضلها يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ثم قال الهيتمي: وينبغي الجمع بين ما قلته وما قاله السراج البلقيني وما قالوه ليصير الحمد لله رب العالمين حمد يوافي نعمه ويكافئ مزيده كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وقال في تحفة المحتاج بشرح المنهاج: من حلف ليثنين على الله أفضل الثناء لم يبر إلا بالحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده لأثر فيه، ولو قيل: يبر بقوله ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك لكان أقرب بل ينبغي أن يتعين لأنه أبلغ معنى وصح به الخبر اهـ.

لكن المشهور المعروف في المذهب أن من حلف ليثنين على الله أنه يبر بقوله: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت علي نفسك كما قاله الرملي في النهاية وإسماعيل بن أبي بكر بن المقري في إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي وفي روض الطالب والنووي في الأذكار .

وفي الشبراخيتي أيضا: وقيل: لا يبر من حلف ليحمدن الله بأفضل المحامد حتى يقول: اللهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وقيل: لا يبر حتى يقول: ليس كمثله شيء اهـ.

فهذه ستة أقوال في أفضل صيغ الحمد، والراجح منها في مذهب إمامنا الشافعي رحمه الله قول المتولي والقاضي حسين وإمام الحرمين وتلميذه الغزالي والرافعي والنووي في الروضة وابن القري في الروض والإرشاد والرملي وغيرهم من أن أفضل المحامد كلها الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وإن كان لما بحثه الهيتمي قوة من حيث الدليل، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال: يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء فقالا: ياربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها، قال الله وهو أعلم بما قال عبده: ما ذا قال عبدي؟ قالا: يارب إنه قد قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فقال الله لهما: أكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها، قال المنذري: رواه أحمد وابن ماجه وإسناده متصل ورواته ثقات إلا أنه لا يحضرني الآن في صدقة ابن بشير جرح ولا تعديل. قوله: عضَّلت بتشديد الضاد المعجمة أي اشتدت عليهما وعظمت، واستغلق عليهما معناها -أي علم ثوابِها- اهـ

وذكر المصنف رحمه الله صيغة: الحمد لله حمدا يوافي نعمه إلخ. في ضمن أوراده المسماة "مرحبا" وذكرها شيخه القطب النفيس سيدي أحمد بن إدريس قدس الله سره في محامده الثمانية، لكنهما زادا عليها رب العالمين

بعد الحمد لله، وكأنهما أخذا هذه الزيادة من القرآن الكريم؛ إذ كان شأنهما التمسك به وبالسنة المطهرة، بل لم يكن لهما مرجع إلا إليهما كما لا يخفى على من اطلع شيأ من سيرتهما، وأخذاها أيضا من الأثر الآتي قريبا إن شاء الله، وقد قال علم الدين البلقيني ولد سراج الدين البلقيني: ينبغي الجمع بين ما قال والده وما قالوه ليصير الحمد لله رب العالمين حمدا إلخ، والأثر الذي استدلوا به هو كما في الأذكار وشرحه ما روي عن أبي نصر التمار عن محمد بن النضر قال: قال آدم صلى الله عليه وسلم: يارب شغلتني بكسب يدي فعلمني شيأ فيه مجامع الحمد والتسبيح، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا آدم إذا أصبحت قل ثلاثا وإذا أمسيت قل ثلاثا الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده فذلك مجامع الحمد والتسبيح، وأبو نصر بالصاد المهملة، والتمار بالتاء المثناة، وابن النضر بالضاد المعجمة .

قال الحافظ أبو نعيم: كان محمد بن النضر أعبد أهل الكوفة ولم يكن الحديث شأنه، قال الرافعي في الشرح الكبير: إن جبريل علم هذا الحمد لآدم عليهما السلام، وقد قال: علمتك مجامع الحمد، وقال الهيتمي في الإمداد: وما ذكر عن جبريل عليه السلام إسناده معضل تارة، وضعيف منقطع أخرى، ومن ثَمّ قال في الروضة : ليس لهذه المسألة دليل معتمد أي من الأحاديث .

تنبيه: قال الإمام النووي في الأذكار: حمد الله تعالى ركن في خطبة الجمعة وغيرها من الخطب فلا يصح شيء منها إلا به، وهو مستحب في ابتداء كل أمر ذي بال، وعند خِطْبَةِ المرأة بكسر الخاء، وعند النكاح، وفي ابتداء

الدعاء وختمه، وابتداء الكتب المصنفة، وابتداء دروس المدرسين، وقراءة الطالبين، وبين يدي سائر الأمور المهمة، وبعد الفراغ من الطعام والشراب والعطاس، وبعد الخروج من الخلاء، وعند حصول نعمة أو اندفاع مكروه، سواء حصل ذلك لنفسه أو لصاحبه أو للمسلمين، وأحسن عبارات الحمد في ذلك: الحمد لله رب العالمين اهـ ملخصا .

ويقال: ويستحب عند المصيبة الدنيوية لا الدينية أعاذنا الله منها خصوصا ومن جميع المصائب عموما ولم أذكر أدلة ذلك لطولها وموضع تفصيلها في كتب الفقه.

واعلم أنه ينبغي للعاقل أن يكثر حمد مولاه جل وعلا وشكره في جميع حالاته، فإن ذلك اعتراف بأنه المنعم المحسن بالجود والكرم، وذلك سبب لدوام النعمة وزيادتها، قال الله تعالى: {**لئن شكرتم لأزيدنكم**} وقال ابن عطاء الله في الحكم: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها.

ويقال: الحمد قيد الموجود وصيد المفقود . وفي كتاب الشكر للحافظ ابن أبي الدنيا قال عمر بن عبد العزيز: قيدوا النعم بشكر الله، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر قلبها عليهم عذابا .

وينبغي للعبد التفكر في نعم الله عليه والتحدث بها، قال الله تعالى: {**وأما بنعمة ربك فحدث**}.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التحدث بالنعم شكر وتركها كفر.

وقال أبو سليمان الواسطي: ذكر النعمة يورث حب الله عز وجل، وقال الحسن في قوله تعالى:{**إن الإنسان لربه لكنود**} : أي يعدد المصائب وينسي النعم.

وعن مالك بن دينار قال: قرأت في بعض الكتب أن الله يقول: يا آدم خيري ينزل إليك وشرك يصعد إليّ، وأتحبب إليك بالنعمة وتتبغض إليّ بالمعاصي، ولا يزال ملك كريم قد عرج إليّ منك بعمل قبيح فمن تفكر علم يقينا كثرة نعم الله عليه، وأنها لا تحصى، فكم من نعمة عظيمة لا يلقي لها الإنسان بالاً، كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا خرج من الخلاء مسح بيديه بطنه، ثم قال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها، وقال الله تعالى: {**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**} ولم يقل نعم الله، فتبارك الذي لا تحصى نعمة واحدة من نعمه، بل الحمد على النعمة نعمة أخرى تستوجب حمدا آخر، إذ لولا إعانته تعالى وتوفيقه لم يستطع على الحمد الإنسان، ولقد أجاد القائل:

لك الحمد ياربي على كل نعمة ومن أعظم النعماء قولي لك الحمد

وما أحسن ما قال الإمام الشافعي رحمه الله في أول كتاب الرسالة: الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه .

وقال الشمس الأنبابي: قال العلامة الأمير:

سبحان مولانا الحليم تكرما رب العباد بفضله أنشاها

وأمدهم نعما صفت من فضله لا يستطيع لها الشكور جزاها
سيان فيها شاكر مع كافر بل شاكر النعمى أشد فهاها
احذر تظن بشكره جازيته فالشكر منه نعمة أولاها

قوله: فهاها الفهاهة العجز من النطق الفصيح، يعني أن الشاكر أعجز في الشكر من غيره؛ لأن الشكر زيادة نعمة أعطيت له، ومن زاد عليه الدين كان عن الوفاء أعجز، وبالتفليس لولا الكرم أجدر اهـ.

وعن عقبة بن أبي الصهباء قال: سمعت بكر بن عبد الله يقول: ما قال عبد الحمد لله إلا وجبت عليه نعمة أخرى، قيل له: فما جزاؤها؟ قال: جزاؤها أن تقول: الحمد لله .

فاستكثر ما استطعت من الحمد والشكر لله في جميع أوقاتك، رأى وهيب قوما يضحكون في يوم الفطر فقال: إن كان هؤلاء تقبل الله منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان هؤلاء لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخاطئين .

وليحذر اللبيب أن ترتحل عنه النعم بترك شكره عليها، أو عصيانه على المتفضل به عليها، وما أحسن ما قال بعضهم:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

لأن النعم إذا ذهبت عنه عسى أن لا تعود إليه. وفي فتح المبين للهيتمي أنه صلى الله عليه وسلم قال: ما نفرت النعمة عن قوم فعادت إليهم نسأل الله العظيم أن يلهمنا بحمده وشكره والإخلاص فيهما وفي غيرهما من الطاعات وبالله التوفيق .

(ص) قال الله تعالى: {واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار} وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما أتى به إلا من قال مثل قوله أو زاد على ما قال

(ش) قوله قال الله تعالى: {**واذكر ربك كثيرا**} الآية في الآية الأمر بذكر الله تعالى ذكرا كثيرا، وأفضل الأذكار كلها سوى القرآن الكريم لا إله إلا الله، بل هي من القرآن كما مر في حديث وهي من القرآن .

وقوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من هلل الله إلخ رواه كما قال المنذري والهيثمي والشوكاني الطبراني: في الأوسط بإسناد حسن عن أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها في حديث طويل قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها: وقولي: لا إله إلا الله مائة مرة فهو خير لك مما أطبقت عليه السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ عمل أفضل مما يرفع لك إلا من قال مثل ما قلت أوزاد ورواه الإمام أحمد بإسناد حسن ولفظه: وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقلت: يا رسول الله قد كبرت سني وضعفت -أو كما قالت - فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، فقال: سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقتينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة قال أبو خلف: أحسبه قال: تملأ مابين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت ورواه

الطبراني في الكبير بنحو أحمد، ولم يقل: أحسبه، ورواه ابن ماجه بمعناه باختصار، ورواه كما قال المنذري والشوكاني: البيهقي بتمامه، ورواه النسائي وابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك اهـ

وروى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله تعالى يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أوزاد اهـ.

وقال الهيثمي: وفيه متروك، وأما لفظ المتن فلعله رواية لبعض الرواة المذكورين أو لغيرهم والله أعلم.

قوله من هلل الله أي قال: لا إله إلا الله قال في مختار الصحاح : يقال: أكثر من الهيللة أي من قول لا إله إلا الله .

وفي كلمة لا إله إلا الله مباحث كثيرة نتكلم عن بعضها .

المبحث الأول في فضائلها

١. روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رواه كما قال المنذري النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد اهـ.

٢. وعن يعلى بن شداد قال حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب قلنا: لا يارسول الله، فأمر بغلق الأبواب، وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا

أيدينا ساعة ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وأنت لا تخلف الميعاد ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم قال المنذري: رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني وغيرهما.

٣. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله الله خالصا من قلبه أو نفسه رواه البخاري وهو بعض حديث .

٤. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل: وما إخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله قال المنذري: رواه الطبراني في الأوسط، وفي الكبير إلا أنه قال: أن تحجزه عما حرم الله عليه.

٥. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يستخفوا بحقها، والاستخفاف بحقها أن يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكروه ولا يغيروه قال النبهاني رواه الحاكم فيالمستدرك بسند صحيح .

٦. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

قوله: يفضي إلى العرش أي يصل إليه.

٧. وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه قال المنذري: رواه البزار والطبراني ورواته رواة الصحيح .

٨. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال موسى صلى الله عليه وسلم: يارب علّمني شيأ أذكرك به وأدعوك به، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: يارب كل عبادك يقول: هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: إنما أريد شيأ تخصني به، قال: ياموسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله قال المنذري: رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ورواه أيضا كما قال الهيثمي أبو يعلى، ورجاله وثقوا وفيهم ضعف.

والكفة: كما في المختار بكسر الكاف وفتحها، وفي المصباح وكفة الميزان بالكسر والضم لغة، وقال في المرقاة: الكفة بالكسر وتشديد الفاء من كفتي الميزان .

٩. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جددوا إيمانكم قيل: يارسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله قال المنذري والهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات والطبراني .

١٠. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون:

الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن قال الهيثمي: رواه الطبراني وفي رجاله ضعيف وهو يحيى الحماني اهـ.

وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب بسند ضعيف. وفي السراج المنير شرح الجامع الصغير أن الحكيم الترمذي قال: من قدم على ربه مع الإصرار على الذنوب فليس من أهل لا إله إلا الله، إنما هو من أهل قول لا إله إلا الله اهـ.

وفي الحفني أن من عمل بمقتضاها يكون من أهلها .

١١. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا أباهريرة لَقِّنِ الموتى شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تهدم الذنوب هدما قلت: يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء، قال صلى الله عليه وسلم: هي أهدم وأهدم قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه الديلمي وأبو يعلى وابن أبي الدنيا، وقال الزبيدي: ورواه الطبراني في الكبير اهـ لكنه رووه بألفاظ مختلفة .

قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: ذهب طوائف من أساطين أهل العلم منهم الضحاك والزهري وسفيان الثوري وغيرهم إلى أن الإطلاقات التي وردت في من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم على النار إنما كانت في ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد، فلما فرضت الفرائض وحدت الحدود نسخ ذلك، وقالت طائفة: لا احتياج إلى ادعاء النسخ، فإن كل ما كان من فرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته، فإذا أقر ثم امتنع عن الفرائض جحدا عدم دخول الجنة اهـ باختصار.

قال ابن علان في شرح الأذكار قال الرازي في أسرار التنزيل: وقد ذكر الله تعالى كلمة التوحيد في سبعة وثلاثين موضعا في التنزيل اهـ.

أقول: الظاهر أنه يريد بكلمة التوحيد كل ما يدل على وحدانية الله تعالى مثل لا إله إلا هو ولا إله إلا أنت ونحو ذلك، وليس مراده خصوص لا إله إلا الله كما لا يخفى والله أعلم.

فائدة: ومن المواضع التي ذكر الله فيها كلمة التوحيد ما أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في كتابه الأسماء والصفات بسنده إلى ابن مسعود رضي الله أنه قال في هذه الآية: {**من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون**} قال: الحسنة لا إله إلله .

وأخرج أيضا بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: {**له دعوة الحق**} قال: لا إله إلا الله، وأخرج أيضا بسند آخر إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الله عز وجل: {**اتقوا الله وقولوا قولا سديدا**}. قول لا إله إلا الله. وقوله عز وجل: {**قد أفلح من تزكى**} قال: من قال: لا إله إلا الله. وقوله جل وعلا: {**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**} الذين لا يقولون: لا إله إلا الله وقول موسى عليه السلام لفرعون: {**هل لك إلى أن تزكى**} إلى أن تقول: لا إله إلا الله. وقوله تبارك وتعالى: {**وألزمهم كلمة التقوى**} قال: شهادة أن لا إله إلا الله وقوله: {**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**} على شهادة أن لا إله إلا الله. وقوله تعالى: {**إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**} قال: لا إله إلا الله. وقوله جل وعلا: {**وقولوا حطة**} قال :لا إله إلا الله. وقول لوط عليه السلام لقومه: {**أليس منكم رجل رشيد**} قال: أليس رجل يقول: لا إله إلا الله. وقوله:

{**رب ارجعون لعلي أعمل صالحا**} أقول: لا إله إلا الله. وقوله عز وجل: {**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**} الذين قالوا: لا إله إلا الله .

وأخرج أيضا بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف**} يقول تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله. وفي قوله: {**وكلمة الله هي العليا**} قال: هي لا إله إلا الله. وفي قوله {**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**} يقول: للذين شهدوا أن لا إله إلا الله الجنة. وفي قوله {**له دعوة الحق**} يقول: شهادة أن لا إله إلا الله. وفي قوله {**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**} يقول: شهادة أن لا إله إلا الله. وفي قوله: {**إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا**} قال: العهد شهادة أن لا إله إلا الله. وفي قوله: {**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**} يقول: الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله. وفي قوله: {**من جاء بالحسنة فله خير منها**} يقول: من جاء بلا إله إلا الله. وفي قوله: {**والذي جاء بالصدق**} يقول: جاء بلا إله إلا الله. وفي قوله {**إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**} يقول: إلا من أذن له الرب بشهادة أن لا إله إلا الله وهي منتهى الصواب. وفي قوله {**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة**} شهادة أن لا إله إلا الله.

وأخرج أيضا بسنده إلى مجاهد في قوله عز وجل {**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** } قال: لا إله إلا الله .

وأخرج أيضا بسنده إلى قتادة في قوله {**وجعلها كلمة باقية في عقبه**} شهادة أن لا إله إلا الله. اهـ بحذف يسير .

وقال الإمام النووي في باب ما يقوله من بلي بالوسوسة من كتاب الأذكار قال بعض العلماء: يستحب قول لا إله إلا الله لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء أو في الصلاة وشبههما، فإن الشيطان إذا سمع الذكر خنس أي تأخر وبَعُدَ، ولا إله إلا الله رأس الذكر، ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية السالكين وتأديب المريدين قول لا إله إلا الله لأهل الخلوة، وأمروهم بالمدوامة عليها اهـ

وقال ابن علان: نقل القرطبي في تفسير سورة الإسراء عن بعض العلماء أنه قال: ليس شيء أطرد للشيطان من القلب من قول لا إله إلا الله اهـ

وفي الحاوي للفتاوي أن ابن أبي شيبة أخرج عن سويد بن جميل قال: من قال بعد العصر: لا إله إلا الله له الحمد وهو على كل شيء قدير قاتلن عن قائلهن إلى مثلها من الغد اهـ

وقال الحافظ العسقلاني في فتح الباري: نقل القاضي عياض أن اسم الله الأعظم هو كلمة التوحيد .

وقال ابن علان: قال الطيبي: لا إله إلا الله هي الكلمة العليا والقطب الذي يدور عليه رحى الإسلام وأعلى شعب الإيمان، ثم قال: ولأمر ما نجد العارفين وأرباب القلوب يستأثرونها على سائر الأذكار، لما رأوا فيها من خواص ليس الطريق إلى معرفتها إلا الذوق والوجدان اهـ باختصار .

المبحث الثاني في العتاقة

اعلم أنه اشتهر بين الناس قراءة لا إله إلا الله سبعين ألف مرة عن الأموات، ويسمونها بالفدية أو العتاقة ويذكرون لذلك حديثا مرفوعا، وفي كشف الشبهات للشيخ محمود حسن ربيع أن العتاقة المعروفة بين الناس

نوعان: كبرى وصغرى، فالأولى هي قراءة قل هو الله أحد مائة ألف مرة لما روي البزار عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله، ونادى مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه ألا إن فلانا عتيق الله، فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل وذكر هذا الحديث أبو المواهب الشاذلي في كتاب عنوان أهل السر المصون وذكره الجوهري في حاشيته على شرح السنوسية وقال: الظاهر أن هذا الحديث صحيح لكن في تصحيحه نظر لا يخفى.

وروى إبراهيم بن حميد الخياري في فوائده والرافعي عن حذيفة حديث: من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله، وفي الجامع الصغير من النار بدل قوله من الله قال العزيزي: أي يجعل الله له ثواب قراءتها عتقه من النار. وقال المناوي: وينبغي قراءتها لذلك عن الميت .

وأما العتاقة الصغرى فهي أن يقول المرء لا إله إلا الله سبعين ألف مرة، وقد اعتاد الناس ذكر هذا العدد وجعله فداء لأنفسهم أو لوالديهم أو لأصحابهم من النار، وقد ذكر الشيخ أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي في كتاب الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز عن الشيخ أبي زيد القرطبي المالكي أنه قال: سمعت في بعض الآثار أن من قال: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت ذلك رجاء بركة الوعد وادخرتها لنفسي وعملت منها أيضا لأهلي، وكان إذ ذاك معنا شاب كان يقال: إنه يكاشف له في بعض الأوقات بالجنة والنار، وكان في نفسي منه شيء، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله، فبينما نحن

نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة وهو يقول: يا عم هذه أمي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر، فقلت في نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون، اللهم إن سبعين ألفا فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار، فما استتمت الخاطر في نفسي إلا وقد قال: ياعم هاهي أخرجت والحمد لله، فحصلت فائدتان إيماني بصدق الأثر وعلمي بصدق الشاب .

وفي حاشية الدسوقي على السنوسية قد جرى عمل الناس الآن على ذلك، فينبغي للشخص أن يذكر ذلك العدد ويجعله فداء لنفسه أو لغيره .

قال الشيخ أحمد حشاد المالكي في رسالته: تقول السادة الثقات في إيصال ما يهدي من ثواب القرآن والأذكار للأموات: التهليل الذي قلت فيه ينبغي أن يعمل هو فدية لا إله إلا الله سبعين ألف مرة حسب ما ذكره الشيخ السنوسي في آخر شرح الصغرى، وصاحب العلوم الفاخرة: ويؤخذ من جواب للفقيه المحدث أبي القاسم العبدوسي، وقال الأستاذ السباعي في حاشيته على الخريدة: وفي بعض الآثار أن من قال: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة نجا من النار، ولو قالها إنسان لميت لنجا من النار، ولو كان فيها لخرج منها، قال سيدي علي الأجهوري: جرب فصح، وكان اليافعي وسيدي محمد بن الترجمان وغيرهما من العارفين يفعلون ذلك لمن مات منهم بعتق، فينبغي فعلها اقتداء بهم، وقال ابن العربي: أوصيك أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله رقبتك ورقبة من تقولها عنه، وذلك بأن تقول لا إله إلا الله سبعين ألف مرة .

وقال النجم الغيطي وقد وقفت على صورة سؤال للحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال: لا إله إلا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من الله، هل هو حديث صحيح أو حسن أو ضعيف؟ فأجابه أما الحديث المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف، بل هو باطل موضوع لا تحل روايته إلا مقرونا ببيان حاله، قال النجم الغيطي: لكن ينبغي للشخص أن يفعلها اقتداء بالسادة وامتثالا لقول من أوصى بها وتبركا بأفعالهم .

ومما يناسب العتاقة الصغرى ما أخرجه الطبراني والخرائطي وابن مردويه والأصبهاني وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وكان آخر يومه عتيق الله

فعلم أنه لا مانع من قراءة الشخص لنفسه أو للميت سورة قل هو الله أحد ألفا أو مائة ألف وكذا ذكر لا إله إلا الله سبعين ألف مرة وذكر سبحان الله وبحمده ألف مرة بل هو مستحب انتهى ما أردت نقله من كشف الشبهات بزيادة قليلة من العزيزي .

وقال سيدي أحمد بن إدريس قدس الله سره في النفحات الإلهية وفي الرسالة المسماة بـ-الأساس-: ينبغي لسالك الطريقة أن يأتي أولا بالفدية يفدي بها نفسه، وهي لا إله إلا الله سبعين ألفا، وسرها أن تذكر بهذه الصيغة لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله، وقال الحفني في شرح الجامع الصغير: قد ذكر ابن العربي من أئمة التوحيد أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة في عمره اشترى نفسه من النار اهـ.

المبحث الثالث: في زيادة الألف على آخر كلمة لا إله أي إشباع فتحة الهاء حتى تتولد منها ألف زائدة

اعلم أن كثيرا من المجتمعين للتسبيح وغيرهم يزيدون هذه الألف، فاعترض عليهم بعض الناس بأن هذا لحن، وهو في كلمة التوحيد ممتنع، فأقول وعلى الله التكلان وهو المستعان: ليس الأمر كما توهم هذا المعترض، فقد قال ملا علي بن سلطان قارئ في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: اختلف العلماء في الجلالة فقيل: عبراني لأن أهل الكتاب كانوا يقولون: إلاها، فحذفت العرب الألف الأخيرة للتخفيف كما فعلوا في النور والروح واليوم، فإنها في اللغة العبرانية كانت نورا وروحا ويوما والحق أنه عربي اه بلفظه.

فعلى القول بعبرانية هذه الكلمة بطل هذا الإعتراض من أصله، إذ لا يشك أحد جواز ذكر الله تعالى بالعبرانية وغيرها من سائر اللغات، وعلى القول بعربيتها فليس ذلك بلحن أيضا .

ففي كتاب بغية المستفيد للشيخ محمد العربي التيجاني: كثيرا ما يقع من الفقراء يعني الصوفية مد هاء لا إله إلا الله أعني الهاء من إله وكثيرا ما ينكر عليهم في ذلك، وقد سئل عن ذلك بعض العلماء فأجاب بما حاصله أن مد هذه الهاء في غير التلاوة سائغ؛ لأن له وجوها في العربية تقتضيه، منها: أن لا تعمل عمل إن وإله إسمها وهو منصوب منون، فيجوز إشباع هائه وصلا إعطاء للوصل ما للوقف.

وربما أعطى لفظ الوصل ما   للوقف نثرا وفشا منتظما

ثم قال: والذاكر فيما وافق لغة العرب في وجه ولو على وجه القلة والندور ما جور، ولا يعترض عليه فيما أتى به لأن العرب كلهم فصحاء، وانظر إلى

قوله صلى الله عليه وسلم: ليس من امبر امصيام في امسفر وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن اللحن اهـ.

أقول: والبيت الذي استدل به هو في الألفية لابن مالك وقال الأشموني في شرحه: ومن النثر قراءة غير حمزة والكسائي {**لم يتسنه وانظر**} {**فبهداهم اقتده**} ومنه أيضا {**ماليه هلك عني سلطانية خذوه**} {**ماهية نار حامية**} اهـ.

ومعلوم أن قلب المنصوب المنون ألفا وزيادة هاء السكت من أحكام الوقف، فإذا جاز اعطاء لفظ الوصل ما كان للوقف بقراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو بن العلاء وعاصم اتضح للمنصف جواز مد هاء لا إله في الوصل وإشباعها بالألف وضوحا كوضوح شمس الضحى ولله الحمد وله المنة .

وقال علماء التجويد: إن المد له سببان لفظي ومعنوي، فاللفظي سببه الهمز أو السكون والمعنوي هو قصد المبالغة في النفي ويسمى مد التعظيم ومد المبالغة، قال الحافظ السيوطي في الإتقان في علوم القرآن : أما السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي وهو سبب قوي مقصود عند العرب، ومنه مد التعظيم في نحو لا إله إلا هو، لا إله إلا الله، لا إله إلا أنت، ويسمى مد المبالغة، قال ابن مهران في كتاب المدات: إنما سمي مد المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه وتعالى، قال: وهذا مذهب معروف عند العرب لأنها تمد عند الدعاء وعند الإستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة اه يعني يمدون ما لا أصل له في المد .

قال الملا علي قاري في المنح الفكرية بعد ذكره بما مر عن الإتقان: قد استحب العلماء المحققون مد الصوت بلا إله إلا الله، ومما يدل على ذلك ما روي في الحديث عن ابن عمر مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال، سمى بها نفسه فقال ذو الجلال والإكرام، ورزقه النظر إلى وجهه وفي الحديث عن أنس: من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب قال ابن الجزري في النشر وكلا الحديثين ضعيفان إلا أنه يعمل بهما في فضائل الأعمال اهـ.

وفي نهاية القول المفيد: ينقسم المد المعنوي إلى قسمين، أحدهما مد تعظيم، وهو في لا النافية في كلمة التوحيد، ويسمى مد المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي الألوهية عما سوى الله تعالى وهو مذهب معروف عند العرب؛ لأنهم يمدون ما لا أصل له في المد عند الدعاء والاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء، وقال النووي في الأذكار: المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر، ثم ذكر حديثي ابن عمر وأنس رضي الله عنهما، والثاني مد التبرئة أي مد لآ التي لنفي الجنس وهو مروي عن حمزة في نحو لاريب و لاشية فيها ولاقبل لهم اهـ باختصار .

وذكر السيوطي مد لا التي للتبرأة في الإتقان بمثل ما ذكر في القول المفيد.

فإذا علمت ذلك علمت أن أمر المد فيه سعة فهل ترى أنه إذا جاز مد لا ريب ونحوها يحرم مد هاء لا إله من لا إله إلا الله إشباعا لفتحتها ومبالغة في تدبر معنى التوحيد؟ كيف وقد ثبت أن العرب يمدون للتعظيم والمبالغة في النفي في غير مواضع المد بلا وجود سبب من أسباب المدود اللفظية، فانظر أيها المعترض ما يؤديه اعتراضك من تجويز المد بلا سبب لفظي في

القرآن الكريم، ومنعه في غيره من الأوراد والأذكار، وأيضا قال العروضيون وأصحاب القوافي: يجوز زيادة حرف اللين والهاء في آخر الشعر ويسمون هذه الزيادة بالوصل، وقالوا أيضا: يجوز زيادة حرف من حرف اللين الثلاثة بعد تلك الهاء المسماة بهاء الوصل مثل قول الشاعر:

يوشك من فر من منيته في بعض غراته يوافقها

فآخر البيت القاف من يوافقها، والهاء حرف وصل، والألف حرف ناشئ عن إشباع حركة هاء الوصل فهذان حرفان زائدان بعد حرف الروي الذي بنيت عليه القصيدة، ومثل الألف في ذلك الواو كقوله:

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنوهو

فلا يخفى أن الأصل ما يحسنون، والهاء والواو زائدتان، فإذا جاز مثل هذه الزيادة لرعاية ميزان الشعر فقط فكيف لا يجوز زيادة الألف في هاء لا إله إلا الله لإشباع الروح من أنوار التوحيد، والتنزه في رياض الكلمة المشرفة؛ ليكون القلب مملوء من تعظيم ذي الجلال والإكرام، وحب ذي الفضل والإنعام، والله الموفق .

وفي كلمة التوحيد مباحث أخرى لا نتعرض لها هنا خوفا من السآمة في الإطالة، وقد ذكر الإمام السنوسي رحمه الله في شرحه على عقيدته المسماة أم البراهين فصولا سبعة في بيان معاني هذه الكلمة المشرفة، وبيان فضلها وبيان حكمها وضبطها من حيث النطق وإعرابها، وبيان الوجه الأكمل في كيفية ذكرها، وبيان الفوائد التي تحصل لذاكرها بالمواظبة عليها، فعليك بتلك الفصول فإنها مهمة مفيدة جدا، نسأل الله تعالى أن يجعلها آخر كلامنا عند الموت، معتقدين بمعناها بحوله وقوته وبالله التوفيق .

(ص) قال الله تعالى: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا }.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال الله أكبر مائة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل ممن عتق مائة رقبة من ولد إسماعيل .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

(ش) قوله: قال الله تعالى: {**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا**} الآية: ليست هذه الآية في النسخة التي اعتمدت عليها ولكنها في نسخ أخرى، ويقرؤها كل من رأيته من قائدي التسبيح فلهذا كتبتها وفيها الأمر بتعظيم الله وتكبيره، وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: آية العز {**الحمد لله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك**} إلى آخر السورة. وقوله: آية العز يعني الآية التي يترتب على قراءتها عز القارئ ورفعته إذا واظب عليها، قاله الجمل في حاشية الجلالين، وفي تفسير ابن جرير الطبري أن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية {**الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك**} إلى آخرها الصغير من أهله والكبير .

وقوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال الله أكبر مائة. إلخ رواه كما قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب : النسائي ولفظه: من قال: سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة، ومن قال الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها في سبيل الله، ومن قال: الله

أكبر مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يجئ يو القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد عليه .

وقوله: كان أفضل من مائة بدنة يعني كان قوله ذلك أفضل من تصدق مائة بدنة والله أعلم.

وعن أبي أمامة عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: جاءني جبريل فوضع يديه إحداهما على صدري، والأخرى بين كتفي حتى وجدت برد التي في صدري بين كتفي والتي بين كتفي في صدري فقال: يامحمد كبر الكبير، وهلل باليقين، وقل: سبحان رب الأولين والأخرين قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه ضعيف .

قوله الله أكبر يعني يكبرون الله على الوجه المذكور، ويقولون: الله أكبر .

(ص) قال الله تعالى: {يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك القدوس العزيز الحكيم}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ما من يوم يصبح العباد إلا نادى مناد أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس .

سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس

(ش) قوله: قال الله تعالى: {**يسبح لله ما في السموات**} الآية: في هذه الآية الترغيب في تسبيح الملك القدوس جل جلاله .

وقوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ما من يوم يصبح العباد إلا نادى مناد. إلخ رواه الترمذي عن الزبير بلفظ: ما من صباح

يصبح العباد إلا مناد ينادي سبحان الملك القدوس. قال المناوي: وفي رواية سبحوا الملك القدوس، ورواه أيضا أصحاب السنن الأربعة وابن السني بإسناده ضعيف عن الزبير بن العوام بلفظ: ما من صباح يصبح العباد إلا صارخ يصرخ أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس رب الملائكة والروح، انتهى من الجامع الصغير للسيوطي وشرحه السراج المنير للعزيزي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: روى عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من صباح يصبح العباد إلا وصارخ يصرخ أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس رواه أبو يعلى وفيه ضعيف جدا اهـ

قوله: سبحان الملك القدوس يعني يكرر أهل الحلقة هذه الكلمة على الكيفية المذكورة مرار .

تنبيه: في بعض النسخ هنا زيادة ليست في النسخة التي اعتمدت عليها وهي قال الله تعالى: {**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا**} سبحان من هو كما هو سبحان من لا يعرف كيف هو إلا هو، سبحانه لا إله إلا هو اهـ. يعني يقولون هذا التسبيح على الوجه المذكور من التناوب بعد قراءة القائد هذه الآية، وهذه الزيادة يعتني بها أهل الحلق المجتمعون للتسبيح ولم أر من يتركها منهم، وهي جديرة بذلك إذ فيها توحيد الله تعالى وتنزيهه بعبارة بديعة بليغة، وألفاظ أنيقة، لكني لا أتحقق أنها للمؤلف رحمه الله، بل يحتمل أنها من بعض المحبين لذكر الله تعالى المتلذذين بثنائه وتسبيحه، وقد رأينا كثيرا من الإخوان يزيدون في التسبيح الذي جمعه المؤلف زيادات استحسنوها، ولم أذكرها في الشرح إذ هي غير منسوبة إلى المؤلف أصلا فمن المحتمل أن هذه كذلك .

ومما قد يؤكد أنها ليست له خلافها لجميع ما سبق عنها ويأتي بعدها، وذلك لعدم ذكر حديث ورد فيها، أو يدل على ترغيبها، فهي على غير أسلوب سابقها ولا حقها، وقد يؤكد ذلك أيضا ما سمعته من سيدي الشيخ أحمد بن الشيخ داود أن إخوان سيدي بدر الدين وتلامذته كانوا يتركون هذه الصيغة وصيغة يا لطيف الآتية في أكثر الأوقات، ولا نذكرونهما في التسبيح إلا في أوقات الفراغ والنشاط، كالأعياد والجمع، وكالأيام التي تتوقف فيها الدروس اهـ.

ومعلوم أن سيدي بدر الدين الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه كان في عصره قطب الطريقة الرحمانية وإمامها علما وعملا، فالظاهر من تساهل تلامذته بهاتين الصيغتين بحضرته أنهما في المرتبة دون سائر صيغ التسبيح، وذلك يحتمل احتمالات مثل عدم ثبوتها عن المؤلف، ومثل عدم ورود حديث فيهما وغير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال .

(ص) قال الله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يكثر بعد نزول هذه السورة بقول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة غفر له ذنوبه سبعين سنة .

سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه

(ش) قوله: قال الله تعالى: {**إذا جاء نصر الله**} إلى آخر السورة، أمر الغفار جل جلاله المنزه عن كل نقص المستحق لجميع المحامد وكل الكمالات في هذه السورة الاستغفار والتسبيح والحمد، وقد كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أي العمل به فكان عليه الصلام والسلام بعد نزول هذه السورة يكثر جميع ما أمره الله فيها سواء كان في صلاته أو في خارجها، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وقال تعالى: {**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة**}، فالذي ينبغي لكل مؤمن محب لاتباع سيد البرية، وامتثال أمر الخالق جل وعلا أن لا يمهل هذه الكلمات ولا يستخف بها، بل يعتني ويهتم بها، فما ذا ينتظر وقد نزلت بأمرها آخر سورة من القرآن الكريم نزولا، وتأمل حديث عائشة الآتي فإنه يفيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك هذه الكلمات في صلاة صلاها بعد نزول هذه السورة .

قوله: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يكثر بعد نزول هذه السورة إلخ. قال النووي في كتاب الاستغفار من رياض الصالحين: رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها اهـ. ذكر هذا الحديث الإمام مسلم في باب ما يقال في الركوع والسجود من صحيحه، ولفظه: عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت: يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده

أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها، إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا وذكره البخاري في تفسير سورة إذا جاء نصر الله من صحيحه، ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره بطرق بعضها مثل ألفاظ مسلم، وبعضها كألفاظ البخاري .

وفي المجمع للهيثمي: وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، قال: إني أمرت فقرأ إذا جاء نصر الله والفتح رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي قال الحافظ في الفتح : قال ابن دقيق العيد: يؤخذ من هذا الحديث إباحة الدعاء في الركوع .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه كتبت كما قالها، ثم علقت بالعرش، لا يمحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله وهي مختومة كما قالها. رواه الطبراني كما في ألأربعين الأربعين وسبق في شرح سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أن البزار رواه أيضا عن ابن عباس لكن باختلاف يسير في اللفظ .

قوله: وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله . إلخ لم أظفر بمن رواه بهذا اللفظ أو بمعناه، لكن يقرب منه ما رواه الطبراني بإسناد ضعيف عن زميل الجهني، ولفظه كما في مجمع الزوائد للهيثمي: وعن زميل الجهني قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال وهو ثان رجله: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله إنه كان توابا سبعين مرة، ثم يقول: سبعين بسعمائة، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة وفي الحديث طول ذكره الهيثمي بتمامه في باب تعبير الرؤيا، وباختصار في باب ما يقول بعد صلاة الصبح والمغرب .

قوله: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه يعني يقولون هذه الكلمات على تلك الكيفية المارة اهـ.

وهذا أخر ما في النسخة التي اخترتها للإعتماد عليها، فكان المصنف رحمه الله لما ختم آخر سورة نزلت من القرآن بالحسبلة والحمدلة والاستغفار ختم كتابه بذلك تبركا وتأسيا بكتاب الله العزيز، ولأن الحسبلة تطلب في عواقب أشياء كثيرة كالصلاة، فقد روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أمرنا بالتسبيح في أدبار الصلوات ثلاثا وثلاثين تسبيحة الحديث.

وعن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال دبر كل صلاة: {**سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**} فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر رواه كما قال الهيثمي وابن كثير: الطبراني.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين انصرف {**سبحان ربك رب العزة**} إلى آخر السورة، ويتأكد التسبيح أيضا في أواخر العمر، فقد روى ابن جرير في تفسيره عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: سبحان الله وبحمده إلى آخر الحديث، وقد تقدم ذكره في شرح سبحان الله وبحمده .

وكالمجالس، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا يقول في آخره إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك إلخ. وقد مر في شرح حديث كلمتان خفيفتان إلخ، نقلا عن ابن علان أن التسبيح مشروع في الختام، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: {**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**} إلى آخر السورة .

وروى نحوه الشعبي مرفوعا لكنه مرسل .

وكذلك الحمدلة تستحب في أواخر كثير من الأمور كالدعاء والخروج من الخلاء والمسجد والفراغ من الطعام، قال النووي في الأذكار: يستحب أن يختم دعاءه بالحمد لله رب العالمين، قال تعالى: {**وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**} وكذلك الاستغفار يطلب أيضا في خواتم الأمور، فقد قال الحافظ في الفتح: كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا سلم من الصلاة: أستغفر الله ثلاثا وإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك،

وورد الأمر بالاستغفار عند انقضاء المناسك قال الله تعالى: {**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله**} .

وفي نسخ أخرى زيادتان الأولى منهما قال الله تعالى: {**الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز**} وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: اسم اللطيف بين الأسماء كالبدر بين الكواكب.

يالطيف يالطيف   يا لطيف ألطف بنا

أقول: لم أجد من روى هذا الحديث بعد البحث من مظانه من كتب عدة فالله أعلم به وقدم تقدم نقلا عن الشيخ أحمد بن الشيخ داود أن جماعة سيدي بدر الدين كانوا يتركون هذا غالبا والله أعلم ما هو السبب في ذلك.

قوله: يا لطيف يالطيف إلخ. أي يقول المجتمعون للتسبيح هذه الكلمات كما مر.

والزيادة الثانية: قال الله تعالى: {**بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين**}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لكل شيء له قلب وقلب القرآن سورة يس.

وفي بعض النسخ بدل هذا الحديث ما لفظه: وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قرأ سورة يس مرة واحدة فكأنما قرأ ربع القرآن العظيم .

أقول: روى حديث قلب القرآن سورة يس الترمذي عن أنس رضي الله عنه ولفظه: وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات، ثم قال الترمذي: حديث غريب. وقال الحافظ السيوطي في الإتقان: رواه أيضا الدارمي من حديث أنس رضي الله عنه. وقال الحافظ ابن كثير: رواه الحكيم الترمذي بإسناد ضعيف في نوادر الأصول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورواه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد عن معقل بن يسار ولفظه: وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت {**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**} من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرأوها على موتاكم وكذا رواه النسائي في عمل اليوم والليلة اهـ ما نقلته من تفسير ابن كثير.

فثبت بهذا أن سورة يس قلب القرآن، وقد ورد في فضائلها عدة أحاديث مرفوعة قال ابن كثير في تفسيره قال النبي صلى الله عليه وسلم: لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي يعني سورة يس وذكر بعض العلماء فيها خصائص كثيرة .

وحديث من قرأ سورة يس فكأنما قرأ ربع القرآن إلخ. لم أجده بهذا اللفظ لكن مر آنفا في حديث أنس عند الترمذي أن قراءة يس كقراءة القرآن عشر مرات، وروى البيهقي في شعب الإيمان أيضا من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات.

وروى البيهقي في شعب الإيمان أيضا حديث من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين.

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير: أي قرأ القرآن مرتين بدون يس. قال المناوي: ولا تعارض بين الحديثين لاختلاف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان .

فإذا قرأ القائد ذلك قرأ كل واحد من الحاضرين في حلقة التسبيح سورة يس إلى {**فهم لا يبصرون**} وقد يقرأ السورة بكمالها بعض الجماعات من أولي العزم والإجتهاد ثم يختم القائد الحلقة بقوله قال الله تعالى: {**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**} قال الله تعالى: {**إن الله وملائكته يصلون على النبي ياءيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**} ثم يقرأ الأحاديث التي وردت في الأمر والترغيب في الصلاة علي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم يدعو رئيس الحلقة وشيخهم، ويؤمن الحاضرون بدعائه، وتنتهى بذلك حلقة التسبيح .

تنبيهان في مسائل: الأولى منها في مشروعية الجهر بالتسبيح وغيرها من الأذكار والقرآن.

اعلم أن المجتمعين للتسبيح يجهرون بقراءتها ويرفعون بها أصواتهم في المساجد وغيرها، لكن هذا في هذه الأزمنة الأخيرة، أما في الزمان الأول فلم يكن فيه الجهر بالتسبيح، فقد سمعت من العلامة إمام حملة الشريعة من الفقهاء والمحدثين والمفسرين، وقائد علماء الطريقة والحقيقة سيدي الشيخ حسين بن محمد بن محمود الملقب بـ(العطاء) المقدشي أنهم كانوا في زمان سيدي الشيخ حسن بن معلم يقرأ القائد الآيات والأحاديث ويقرأ كل

واحد من المجتمعين في الحلقة التسبيح في سبحته بدون جهر اهـ والشيخ حسن معلم كان تلميذ المؤلف مولانا عبد الرحمن رحمة الله ورضاه على ضريحيهما .

واعترض بعض الطلبة على هذا الجهر بقولهم: إنه ممنوع إن تأذى به نحو نائم ومصل، فأردت أن أذكر بعض ما في ذلك من الأدلة وأقوال الفقهاء رحمهم الله فأقول: أما الجهر بالأذكار والقرآن فهو مشروع بل هو في الغالب مستحب ومسنون، ففي فتاوي الإمام النووي رحمه الله أنه سئل عن جماعة يقرأون القرآن في الجامع يوم الجمعة جهرا، وينتفع بسماع قراءتهم ناس، ويشوشون على بعض الناس، هل قراءتهم أفضل أم تركها؟ فأجاب النووي رحمه الله تعالى إن كانت المصلحة فيها وانتفاع الناس بها أكثر من المفسدة المذكورة فالقراءة أفضل، وإن كانت المفسدة أكثر كرهت القراءة، وعبارة الأنوار للأردبيلي وقراءة القرآن في المسجد تنفع لبعض وتشوش على بعض فإن كان نفعها أكثر فالقراءة أفضل، وإن كان التشويش أكثر كرهت .

وقال ابن قدامة الحنبلي في المغني: إن كان الجهر أنشط له أو كان بحضرته من يستمع قراءته أو ينتفع بها فالجهر أفضل، وإن كان قريبا منه من يتضرر برفع صوته فالإسرار أولى وإن لم يكن لا هذا ولا هذا فليفعل ما شاء .

والأحاديث الواردة في الجهر كيرة جدا أذكر منها طرفا قليلا .

١. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وفيهما أيضا أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير.

٢. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، وفي رواية لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي موسى الأشعري رضي الله: لقد رأيتني وأنا أستمع لقرآءتك البارحة .

٣. وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: قعد أبو موسى في بيته واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، فقال: يارسول الله ألا أعجبك من أبي موسى؟ قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني أحد منهم، قال: نعم، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى فقال: إنه يقرأ مزمارا من مزامير آل داود قال الهيثمي: وإسناد أبي يعلى حسن .

٤. وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به قال النووي: معنى أذن استمع وهو إشارة إلى الرضا والقبول، ومعنى يتغنى: يحسن صوته .

٥. وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم على قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت.

٦. وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن، فلما أصبح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله فلانا كأين من آية أذكرنيها الليلة كنت أسقطتها .

٧. وفي الإحياء للغزالي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: ما حبسك قالت: يارسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع، فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رواه أبو داود .

٨. وروى الإمام أحمد والنسائي عن عمر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأه على قراءة ابن أم عبد قال العراقي: ورواه أيضا الترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود .

٩. وفي تفسير ابن كثير أن الإمام أحمد روى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: إنه أواه، وذلك أنه رجل كان إذا ذكر الله في القرآن رفع صوته بالدعاء .

١٠. وفي الحاوي للفتاوي أن البيهقي روى عن زيد بن أسلم أنه قال: قال ابن الأدرع انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فمر برجل في

المسجد يرفع صوته قلت: يارسول الله عسى أن يكون هذا مرائيا؟ قال: لا ولكنه أواه.

وروى البيهقي أيضا عن جابر بن عبد الله أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه فإنه أواه اهـ.

وروى عن علي كرم الله وجهه أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرأون القرآن، فقال: طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الإحياء للغزالي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وكان عمر يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط، فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة، فيقول: أولسنا في صلاة؟ يشير بذلك إلى قوله تعالى {**ولذكر الله أكبر**} اهـ وللحافظ السيوطي رسابة ألّفها في الجهر بالأذكار سماها: نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، أولها: سئلت عما اعتاده سادة الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد، ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أولا؟ الجواب أنه لا كراهة في شيء من ذلك، ثم ذكر خمسة وعشرين حديثا تدل على استحباب الجهر بالذكر، ثم قال بعد ذكرها: إذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه، ثم أجاب عن اعتراض ذلك بقوله تعالى: {**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة**} وبقوله تعالى: {**أدعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين**}، ثم

ذكر ما نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فقال: ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد، فقال: هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ، ورأيت في كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل أن أبا وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ما جالست عبد الله مجلسا قط إلا ذكر الله فيه، ثم قال السيوطي: وعلى تقدير ثبوت هذا الأثر فهو معارض بالأحاديث الكثيرة وهي متقدمة عليه عند التعارض اهـ.

واعلم أنه وردت في الجهر والإسرار أحاديث كثيرة ظاهرها التعارض، من ذلك حديث خير الذكر الخفي .

وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة، ومعلوم أن إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها لقوله تعالى: {**إن تبدوا الصدقات**}الآية.

وروى أبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعهم يجهرون بالقرآن فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القرآءة أو في الصلاة.

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل يخفض طورا ويرفع طورا .

وروى أبو داود عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض من صوته، ومر

بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يصلي رافعا صوته، فلما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: مررت بك يا أبا بكر وأنت تصلي تخفض من صوتك، قال: قد أسمعت من ناجيت يارسول الله، قال: وقال لعمر مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك، فقال: يارسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبابكر ارفع من صوتك شيأ، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيأ، وفي رواية لأبي داود أيضا زيادة: وهي أنه صلى الله عليه وسلم قال: وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، قال: كلام طيب يجمع الله تعالى بعضه إلى بعض فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كلكم قد أصاب .

وفي رواية له أيضا أن بلالا قال: أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم: أحسنت اهـ من تخريج أحاديث الإحياء .

وجمع بين هذه الأحاديث غير واحد من العلماء، فقال النووي رحمه الله في التبيان في آداب حملة القرآن: قال أبو حامد الغزالي وغيره من العلماء: طريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة في هذا أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء فالجهر؛ لأن العمل فيه أكثر؛ ولأن فائدته تتعدى إلى غيره، والمتعدى أفضل من اللازم؛ ولأنه يوقظ قلب القاري ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيد في النشاط، ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه، فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، وإذا اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر، فهذا حكم المسألة ثم قال: هذا فيمن لا يخاف اعجابا ولا رياء ولا

نحوهما، ولا يؤذي جماعة يلبس عليهم صلاتهم ويخلطها عليهم انتهى ما في التبيان .

وقال السيوطي رحمه الله تعالى بعد نقله عبارة النووي وكذلك أقول: في الذكر على هذا التفصيل، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

أقول: هذا في بعض الأذكار، فإن منها ما يسن فيه الجهر فقط، ولا يشرع فيه الإخفاء، قال ابن علان في شرح الأذكار: من الأذكار ما يسن فيه الجهر كالأذان والقنوت للإمام والتلبية والتكبير ليلتى العيدين، وبين كل سورتين من الضحى إلى آخر القرآن، وذكر السوق الوارد، وعند صعود الهضبات والنزول من الشرفات وغيرهما اهـ.

تنبيه ثان: اعلم أن المنتسبين إلى طريقة المؤلف مولانا عبد الرحمن بن محمود قدس الله سره يقولون في بعض الأحوال في حضرة ذكرهم: "هو أو يا هو" ويكررون بهذا اللفظ، ويحصل للخواص منهم نشاط عظيم ووجد كبير، ويطيب لهم الوقت، وترى منهم هيجان المحبة وصفاء المودة، وتظهر لوائح الشوق والاستقرار في حب ذي الجلال والإكرام، فمن الناس من يعترضهم ويقول: إن لفظ هو ضمير للمفرد الغائب، ولا يصح عقلا ولا عربية أن يكون ذكرا يتقرب به إلى الله تعالى، ولا يدخل أيضا حرف النداء على الضمائر كما هو مبين في كتب النحو، فينبغي لهؤلاء الامتناع عن مثل هذا اللغو، والإتجاه إلى الأذكار الكثيرة المأمورة في الشرع، ففيها الكفاية وبلوغ النهاية وحصول الآمال .

ومن الناس من خلقه الله على حسن النية وسلامة الصدر فيقول كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: دعه فإنه أواه ولا يعترض على أحد بما يقصد به ذكر الله تعالى .

فأحببت كشف هذا الأمر وتبيينه لطالب الصواب المنصف المتحرر عن التعصب والتعسف بذلا للنصيحة وأداء للواجب .

فأقول: وبحول الله وقوته التكلان: إنه قد كثر كلام العلماء في لفظ "هو" فمنهم من قال: إنه اسم من أسماء الله تعالى، ومنهم من قال: إنه اسم الله الأعظم، ومنهم من قال: إنه اسم إشارة، فقولنا: ياهو كقولنا: يا هذا، والمشار إليه الجليل جل جلاله .

قال الحافظ شيخ الإسلام الحافظ العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري نقل الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف أن اسم الله الأعظم "هو" واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم في حضرته لم يقل له: أنت قلت، وإنما يقول: هو يقول، تأدبا معه اهـ.

وقال العزيزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير: اختلف في تبيين اسم الله الأعظم في عشرين قولا منها أنه هو نقله الإمام فخر الدين عن بعض أهل الكشف اهـ.

وذكر الإمام فخر الدين الرازي في كتابه لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات أن لهذا الإسم هيبة عظيمة عند أباب المكاشفات، وقال فيه: فاختلف في الإسم الأعظم لله تعالى، فقال قائلون: إن الإسم الأعظم لله تعالى قولنا: هو، والقائلون بهذا القول إذا أرادوا المبالغة في الدعاء قالوا: يا هو يامن لا هو إلا هو.

وذكر فيه أسرارا معنوية، ولطائف لفظية، يستدل بها على وأن لفظ هو إسم الله الأعظم، فمما قال فيه: اعلم أن هذا الإسم في غاية الشرف والجلالة في حق الحق سبحانه، ويدل عليه وجوده، ثم ذكر حججا، منها قوله: الأسماء المشتقة دالة على الصفات، ولفظ هو دال على الموصوف، والموصوف أشرف من الصفة، ولذلك قال المحققون: إن ذاته تعالى ما كملت بالصفات، بل ذاته لغاية الكمال استلزمت صفات الكمال، فلفظ هو يوصلك إلى ينبوع العزة والرحمة، وسائر الألفاظ يوصلك إلى الصفات.

ومنها: قوله: أسماء الله تعالى المشتقة دالة على الصفات، والصفات لا تعرف إلا بالإضافة إلى المخلوق، فالقدرة هي الصفة التي باعتبارها يصح الإيجاد، والعلم هو الصفة التي باعتبارها يصح الإحكام والإتقان في الأفعال، فهذه الأسماء المشتقة لا يمكن معرفتها إلا مع معرفة المخلوقات، وبقدر ما يصير العقل مشغولا بمعرفة الغير يصير محروما عن الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله، وأما لفظ هو يدل عليه من حيث هو هو، ولا حاجة في معرفته إلى الالتفات إلى اعتبار حال غيره، فلفظ هو يوصلك إلى الحق ويقطعك عما سواه، وسائر الأسماء المشتقة ليس كذلك، فكان لفظ "هو" أشرف وأعظم من سائر الأسماء.

ومنها: قوله: أن من أراد أن يعبر عن ملك عظيم قال هو، وإن كان حاضرا فلا يقال: أنت فعلتَ كذا بل هو فعل كذا، فدل هذا على أن هذا اللفظ هو أعظم الكنايات، انتهى ما أردت نقله من لوامع البينات، وأطال الرازي رحمه الله الكلام على هذا المبحث، ولولا خوف الإطالة والملل لذكرته كله.

وقال المحدث الكبير محمد ابن علان في شرح الأذكار في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: وأرجو أن أكون أنا هو: قال الأبيّ في شرح مسلم: يمكن أن يقال: إن هو وضع موضع الإشارة أي أكون أنا ذلك العبد كقوله:

فيها خطوط من سواد وبلق   كأنه في الجلد توليع البهق

قيل لقائله: إن أردت الخطوط فقل: كأنَّها وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنَّهما، فقال: أردت كأن ذلك انتهى باختصار، والبلق بفتح اللام سواد مع بياض، والبهق: بياض في الجلد وليس بداء، والتوليع: الاستطالة.

وفي المعجم الوسيط: فرس مولع: استطال بلقه وتفرق، والبيت في وصف حمر وحشية .

وفي المغني لابن هشام قال أبو عبيدة لرؤبة بن العجاج لما انشد هذا البيت: إن أردت الخطوط فقل: كأنَّها أو السواد والبلق فقل: كأنَّهما فقال: أردت ذلك ويلك .

أقول: قال النحاة: إن "هو" ضمير منفصل مرفوع أو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، ولفظ "هو" في الحديث المذكور منصوب كما لا يخفى لكونه خبرا لأكون، فظهر أن هذه القاعدة أغلبية، إذ نطق بخلافها سيد الفصحاء، وما أولوا به من كون أنا مبتدأ وهو خبره، والجملة من المبتدأ والخبر خبر كان بعيد كما لا يخفى، وكذلك غيره من التأويلات التي ذكروها، فثبت بالحديث والبيت المذكورين أن الضمير المتصل والمنفصل يكون كل منهما بمعنى اسم الإشارة، فمن قصد بهما لمعنى الإشارة لن يكون ملوما ولا خاطئا في اللغة.

ونقل الإمام الفاسي في مطالع المسرات عن صاحب التحبير أنه قال: اعلم أن هذا الإسم يعني لفظ هو موضوع للإشارة عد طائفة الصوفية، فإذا قلت: هو فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق جل جلاله، وأما عند أهل الظاهر فيحتاج إلى صلة تعقبه ليكون الكلام مفيدا، لأنك إذا قلت: هو ثم سكت فلا يكون الكلام مفيدا حتى تقول قائم أو قاعد وما أشبه ذلك اهـ.

وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: لفظ هو إسم لا صفة، وهو إشارة القلب إلى المعروف الموصوف ألا ترى إلى قوله: هو، ثم قال: الله، ثم قال الخالق، فهو أصل الأسماء، إليه يشير القلب؛ لأنه الباطن الذي لا يدرى كيف هو ولا يدرك اهـ.

وقال الفاسي أيضا: قال شيخ شيوخنا أبو محمد عبد الرحمن في حاشية الحزب الكبير: إن لفظة هو عند القوم أي الصوفية إسم مستقل بمعناه لا ضمير غيبة كما هو موضوع في أصله، بل نقل وصار العرف عندهم بإطلاقه على الله كسائر الأسماء الظواهر، ولذلك ساغ نداؤه وإدخال حرف يا عليه، وليس هو عندهم ضمير غيبة فيعترض بأنه لم يسمع في كلام العرب إلا نداء ضمير الخطاب على خلاف فيه، وقال الفاسي: قال شيخ زروق في تعليقه على الحزب الكبير: قوله: يا من هو معناه الذي لا يمكن أن يشار إلا لجلاله وعظمته، وللناس في هذا الإطلاق بحث وإنكار على الصوفية، والتحقيق أن إطلاقه في مقام التعظيم لا بأس به لأهله، وفي غيره إساءة أدب. انتهى ملخصا ما نقلته من مطالع المسرات باختصار.

وقال النبهاني في حاشيته على الدلائل: لفظ "هو" اسم من أسماء الله اهـ.

وقال الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في باب المنادى: وأما حديث : ياهو يا من لاهو إلا هو فلفظ هو في مثله اسم للذات العلية اهـ.

واعلم أن كون لفظة "هو" من الأذكار والأوراد مشهور ومستفيض عند الطائفة الصوفية قدس الله أسرارهم، وذاك في كتبهم مشحون، وليس عدها من الأذكار خاصا بالطريقة الرحمانية، ففي كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية: أن من أوراد الطريقة القادرية لفظ "هو" وأنه ورد أصحاب النفوس الملهمة وعدده خمسون ألفا وقال البرعي:

قف بالخضوع وناد ربك ياهو   إن الكريم يجيب من ناداه

قال العارف بالله العلامة الدرديري الخلوتي الطريقة رحمه الله: النفوس سبعة بحسب أوصافها وإلا فهي واحدة، وهي الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة، واختار السادة الخلوتية أسماء سبعة لهذه السبعة وهي لا إله إلا الله، الله، هو، حق، حي، قيوم، قهار، اهـ.

فلفظ "هو" ورد صاحب النفس الملهمة كما تقدم في الفيوضات الربانية.

وقال سيدي العارف بالله الأحمدي الطريقة الشيخ صالح الجعفري في المنتقى النفيس في مناقب قطب دائرة التقديس سيدي أحمد بن إدريس: إن ورد صاحب النفس الملهمة هوهو وهو ذكر عظيم الشان اهـ

وذكر لي من أثق به أن جماعة سيدي الشيخ علي ميه كانوا يقولون في حضرة ذكرهم في وقت السحر "هو ياهو" فتدنوا إلى رؤوسهم سحابة بيضاء، فتصب لهم لبنا خالصا فيشرب منه الإخوان .

ورأيت في القاهرة عاصمة مصر جماعة سيدي الشيخ صالح بن محمد الجعفري يقرأون في حلق ذكرهم الأوراد المسماة: بكنز السعادة لسيدي أحمد بن إدريس، وفيها هذا الإسم "هو" ويكررونه ويجهرون به جهرا بليغا، فالحاصل أنه لا يخفى على من له إلمام بالصوفية وكتبهم شهرة هذا الإسم لديهم، فالمعتقدون لا يترددون في قبول ذلك ولا يتلعثمون في متابعتهم على أورادهم التي منها كلمة "هو"، وأما المنتقدون المعترضون عليهم فيقتنع ذو الإنصاف منهم بما ذكر من الأدلة، ويكفيه ما سبق من أقوال الإئمة من المحدثين والنحاة وغيرهم، وأما المعاندون المتمادون في المراء والجدال فلا سبيل إلى إقناعهم، ولا مطمع إلى تفهيمهم للصواب، فهل لهم أن يسكتوا عن الطعن كما سكت شيخ الإسلام العسقلاني وغيره لما نقلوا عن الرازي أن لفظ هو إسم الله الأعظم، ومعلوم أن العالم إذا نقل شيأ عن غيره فلم يخالفه فيه أنه غير منكر عليه ذلك أو أنه موافق له عليه.

واعلم أيها المعترض أن القصد قد يبدل الحكم ويغيره، ألا ترى أنه يجوز للجنب والحائض قراءة القرآن إذا قصدوا به غيره، فكيف تنكر من يقول: إنه يقصد من لفظ "هو" معنى لا تأباه اللغة العربية ولا الشريعة المحمدية، بمجرد أن قصده هذا مخالف للمعنى المشهور لهذه الكلمة، أو أنك لا تعرفه، فمن أطلق لفظا وأراد به معنى يحتمله لغة أو شرعا أو عرفا لن يحكم عليه بالغلط، ولا يتوجه إليه اللوم وإن كان ذلك المعنى غير المشهور في هذا اللفظ، وفي ذلك الإنكار إيذاء خيار عباد الله الصالحين واستقباح ما استحسنوه، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في مقدمة المجموع: قال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله: إن لحوم العلماء مسمومة

وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب اهـ.

فالذي ينبغي إن شاء الله لمن يهتم بسلامة دينه التسليمُ وعدم الحيلولة بين العبد وربه، فكم من صواب ينكره الجاهل عن حقيقته، قال الله تعالى: {**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**}، ولقد أجاد القائل:

فكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولا يخفى على أحد أن من يقول: "هو يا هو" لا يأثم به، وإن قلنا أن هذا اللفظ ضمير غيبة، بل غاية ذلك الخطأ في اصطلاح النحاة، والخطأ في نحو ذلك لا يعاقب به المرء في القيامة، فهلا وسعهم السكوت وترك الانتقاد، إن فقدوا حسن الإعتقاد، والله الهادي إلى سواء السبيل.

تكملة: يظهر أن ما ذكر من التسبيح على هذه الكيفية المعروفة التي هي المكث بموضع صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أفضل وأكثر ثوابا من كل ما سواها من سائر النوافل وأنواع القربات، ما عدا الفرائض والواجبات، حتى من الطواف بالكعبة المشرفة في هذا الوقت، بل من قراءة القرآن فيه أيضا إلا ما ورد فيه وارد خاص في هذا الوقت، فقد قال محرر المذهب الشافعي الإمام الحافظ النووي في كتابه المجموع: في الكلام على أذكار الطواف: قراءة القرآن أفضل من الذكر إلا الذكر المأثور في مواضعه وأوقاته، فإن فعل المنصوص عليه حينئذ أفضل؛ ولهذا أمر بالذكر في الركوع والسجود ونهى عن القراءة فيهما اهـ.

فالتسبيحات المذكورة أذكار مأثورة منصوصة عليها في هذا الوقت كما ذكرنا في ذلك كثيرا من الآيات والأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم، فتكون التسبيحات حينئذ أفضل مما سواها من أذكار وقراءة لم يرد بها وارد خاص.

وفي المجموع أيضا ما لفظه: قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وسائر الأذكار إلا في المواضع التي ورد الشرع بِهذه الأذكار فيها اهـ.

وقال ابن علان في شرح الأذكار: وفي التحفة لابن حجر الهيتمي: أفتى بعضهم أن الطواف بعد الصبح أفضل من الجلوس ذاكرا إلى طلوع الشمس وصلاة ركعتين وفيه نظر بل الصواب أن الثاني أفضل اهـ.

وفي الفتاوي الفقهية الكبرى للهيتمي قبيل أواخر ربع العبادات ما نصه: سئل أي الشيخ ابن حجر نفع الله به: هل الأفضل لشخص صلى صلاة الصبح في الحرم الشريف أن يمكث مكانه ويشتغل بالذكر إلى أن تطلع الشمس، أم الأفضل له الاشتغال بالطواف؟، ونقل عن المجموع أن الاشتغال بالذكر بعد صلاة الصبح أفضل من قراءة القرآن. هل هو كذلك أم لا؟ ونقل عن عوارف المعارف أن الانتقال من موضع الصلاة بعد صلاة الصبح إلى موضع آخر أنه لا بأس به، إذ كان أجمع لهمه وأصلح له، هل يمشي هذا على كلام الفقهاءِ أم مخصوص بأهل معاملات القلوب؟ فأجاب بقوله: نقلت في شرح المنهاج عن بعضهم أنه أفتى بأفضلية الاشتغال بالطواف ثم رددته بأنه لا شك أن ما ورد في ثواب هذه الجلسة لم يرد مثله في الطواف، بل لك أن تقول: إن قوله صلى الله عليه وسلم: له ثواب حجة وعمرة تامتين تا متين فيه دليل على أفضليتها على خصوص الطواف لأن هذه الجلسة إذا ساوت الحجة والعمرة التامتين والطواف بعض أجزائهما، لزم زيادتها عليه وأنها أفضل منه، وهذا ظاهر للمتأمل، ثم قال

بعد كلام طويل: والحاصل أن من تأمل إجماعهم على طلب هذه الجلسة واختلافهم في طلب الطواف بعد الصبح علم أفضليتها عليه، وما نقل عن المجموع لم يحضرني الآن لكن وجهه ظاهر؛ لأن كل ذكر مخصوص يكون الاشتغال به أفضل من الاشتغال بالقراءة، وما نقل عن عوارف المعارف إختيار له، وظاهر كلام الأئمة خلافه، فليزم موضعه ثم يكلف نفسه الحضور والإخلاص ما أمكنه لأن هذا أشق على النفس من الانتقال، والمدار في تهذيب أخلاقها إنما هو على تجريعها مرارة الصبر على أن تأتي بالمأمورات على وجهها ما أمكنها اهـ ما نقلته عن فتاوي ابن حجر الفقهية بحذف .

وقال الرملي رحمه الله في النهاية شرح المنهاج عقب قول المصنف في أواخر باب صلاة الجمعة: ويكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه: يوخذ من الحديث أن الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الإكثار بذكر أو قرآن اهـ.

وقال الشبراملسي في حاشيته على النهاية: الاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الجمعة ويومها أفضل من الاشتغال بغيرها مما لم يرد فيه نص بخصوصه، أما ما ورد فيه ذلك كقراءة الكهف والتسبيح عقب الصلوات فالاشتغال به أفضل اهـ.

وفي التحفة في أواخر باب الجمعة عقب قول المنهاج: ويكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاصله: الإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة ويومها أفضل من الإكثار

بذكر أو قرآن لم يرد بخصوصه كما يوخذ من الأخبار الصحيحة الواردة على ما فيه من عظيم الفضل والثواب اهـ.

وفي الروضة للنووي رحمه الله تعالى في مبحث دعاء الطواف ما لفظه: ويدعوا في جميع طوافه بما شاء، وقراءة القرآن في الطواف أفضل من الدعاء غير المأثور، أما المأثور فهو أفضل منها على الصحيح وعلى الثاني أنَّها أفضل منه اهـ.

والروضة: مختصرة من العزيز شرح الوجيز للإمام أبي القاسم الرافعي كما هو معلوم، والمراد من قوله: على الثاني مقابل الصحيح وهو كما قال الفقهاء ضعيف جدا بخلاف مقابل الأصح فإن له قوة، فيجوز أخذه والعمل به للنفس لا في الإفتاء والقضاء، وعبارة فتح المعين مع حاشية إعانة الطالبين: الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الجمعة ويومها أفضل من الإكثار بغيرها من ذكر وقراءة لم يرد بخصوصه اهـ

فإذا كانت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الجمعة ويومها أفضل من القراءة التي لم يرد بِها وارد خاص، فكذلك تكون التسبيحات التي أمرنا بها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت أفضل من القراءة التي لم يرد بها وارد خاص بهذا الوقت، فكل ذكر في وقته ومكانه أفضل من غيره، فيقدم المقيد في وقته وإن كان مفضولا، فثبت أن القرآن الكريم وإن كان من حيث ذاته أفضل من التسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لكنهما يقدمان عليه في وقتهما الخاص بِهما، وقد يستغرب أفضلية التسبيح في هذا الوقت على القراءة بعض الناس خصوصا من كان ورده قراءة القرآن بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس،

وليس في هذه الأفضلية استغراب واستبعاد، فقد علمت من نقول العلماء الذين عليهم المعول والاعتماد، وإليهم المرجع في المشكلات والمفزع، والذين هم حملة الشريعة وورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تطمئن به القلوب، وتقتنع به النفوس، واتفاق الشيخين الرفعي والنووي والقمرين الهيتمي والرملي وغيرهم يكفيك دليلا وحجة لهذه المسألة، ولا يكترث المؤمن بما يبقى في النفس بعد ذلك من تخيلاتِها وأوهامها، فإنَّها الأمارة بالسوء، وإذا كان القرآن الكريم قد يكون منهيا عنه في بعض الحالات كالجلوس بين السجدتين والركوع والسجود فكذلك يكون مفضولا في بعضها بطريق الأولى.

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في قواعده: وقد يكون الثناء أفضل من القراءة في بعض الأطوار كدعاء القنوت والدعاء بين السجدتين اهـ.

فهذه الدعوات في محلها أفضل من القراءة أيضا، فلا يهولنك إذا أفضلية التسبيح في وقتها على القراءة، فإن زيادة الفضيلة تابعة لأمر الشريعة، ولكل وقت له أولويات، فأولى الأذكار وأجدرها في هذا الوقت التسبيح، إذ القرآن الكريم هو الذي أمرنا بها وخصصها في هذا الوقت كما ذكرنا في ذلك آيات كثيرة، منها: قوله جل شأنه: {**فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**} ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل: من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه رواه الشيخان، وقال عليه الصلاة والسلام: من سبح الله مائة بالغداة

ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة، فعليك بهذه العطية السماوية، والهدية النبوية، والكنز الدفين الذي لا يستخرجه إلا اللبيب المحفوف بالعناية الإلهية، وحسن توفيقه، ففي هذه التسبيحات ما أبان فيه من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم بأنه أفضل الكلام وأحبه إلى الله، وفيها أيضا الكلمتان الخفيفتان على اللسان الثقيلتان في الميزان الحبيبتان إلى الرحمن، وفيها الكلمات اليسيرة التي لا تأخذ عنك قراءتها ساعة بل ولا دقيقة، وهي مع ذلك تقوم مقام عبادة ربع يوم وليلة، فالمصطفى صلى الله عليه وسلم خرج من عند أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها حين صلى الصبح وهي في وردها، ثم رجع إليها وقد قرب انتصاف النهار كما بينته رواية الترمذي السابقة في شرح حديث جويرية، وقال لها: ما زلت على حالك؟ فقالت: نعم، فذكر لها هذه الكلمات، وأخبرها أنها تزن الأوراد التي كانت تذكر بها ربها من حين صلاة الصبح إلى قرب انتصاف نهارها، وفيها الباقيات الصالحات التي هي خير عند الله ثوابا، ولم يقل المولى تبارك وتعالى: هي خير من كذا وكذا، بل أطلق ذلك فيكون المعنى أنها خير من غيرها من سائر نوافل الأذكار والأوراد، وكيف لا تكون كذلك، وفيها كلمة التوحيد التي هي أساس الإيمان وركنه الأعظم، وقال الفقهاء: إن الباقيات الصالحات تقوم مقام سجود التلاوة وركعتى التحية، بل ذكر الإمام عز الدين بن عبد السلام في قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ما يدل على أن الاشتغال بالباقيات الصالحات أفضل من قراءة سورة تبت، وعلّل ذلك بأن الباقيات الصالحات متعلقة بالله وهي ثناء عليه، وتبت متعلقة بالكفار، ثم قال بعد كلام: الذي أراه أن الإتيان

بالأذكار المتعلقة بالله أولى من قراءة ما يتعلق بغير الإله جل شأنه اهـ بمعناه .

وهذا قد يستعظمه بعض الناس ويتعجب منه، لكن الذي مر في شرح الباقيات الصالحات من أنها من القرآن يزيل عنك الإشكال ويرفع عنك الأثقال، فهذه الأوراد رأس الأوراد الصباحية والمسائية وأعظمها، فعض عليها بالنواجد إن كنت تروم السعادة في العقبى، ومتابعة المصطفى، وامتثال أوامره في الدنيا، فإنها جديرة بأن تكتب بماء الذهب على أوراق الفضة بأقلام الزبرجد، وفي هذه الكيفية الوان من الطاعات وأنواع من الفضائل.

فالتعاون على البر والاجتماع على ذكر الله تعالى فضلية، وفي المكث بموضع الصلاة فضيلة عظيمة إذا لم يحدث؛ لأن الملائكة تصلي وتدعو لفاعل ذلك بالرحمة والمغفرة كما رواه البخاري في صحيحه، والمراد بموضع الصلاة المسجد بتمامه وإن تحول من مكان إلى مكان آخر كما قاله القاضي عياض واعتمده الشنواني، وسبق أن مسلما وغيره روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس، ففي هذا المكث الإقتداء به صلى الله عليه وسلم واتباع نَهجه.

والجهر بذكر الله تعالى فضيلة بمراعاة شروطه المذكورة سابقا في مبحث الجهر والإسرار بالأذكار .

وإذا كانت حلقة التسبيح في المسجد فسنة الإعتكاف فيه فضيلة أخرى .

فإذا علمت أن أذكار التسبيح وحدها أفضل في هذا الوقت من سائر نوافل الطاعات، فكيف إذا أضيف إليها هذه الفضائل المتراكمة واللطائف المتلاحقة، فجزى الله المؤلف خير الجزاء على وضعه لهذه الأذكار المباركة،

وسلوكه هذا النهج القويم العديم النظير، ونسجه على هذا المنوال المحكم المتين .

جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

ونفع الله المسلمين بما جمعه بصائب فكرته، ودقيق نظره، وغزير علمه، على هذا النظام البليغ، والنمط البديع .

لطيفة: الفضائل الواردة في التسبيح ونحوه اختلف فيها العلماء هل هي لأهل الشرف في الدين والطهارة عن المعاصي العظام فقط، أو هي لهم ولغيرهم عموما؟ قال بعضهم إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال والطهارة من الكبائر والجرائم، والاشتغال بفضائل الأعمال إنما هو لمن قام بما عليه من الفروض إذ الأهم المقدم هو الفرض، فلا يظن ظان أن من أدمن الذكر، وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلحق بالمطهرين، ويبلغ منازلهم بحكاية أحرف ليست معها التقوى والإخلاص، وممن ذهب إلى هذا ابن أبي جمرة وابن بطال وأبو إسحاق الشاطبي، ونقله ابن الملقن في شرح البخاري وسكت عليه.

وقال القاضي عياض في أواخر شرح صحيح مسلم: في هذا نظر والأحاديث عامة، وقال الإمام النووي في شرح مسلم: الصحيح أنها لا تختص أي بأهل الصلاح والطهارة، وهذا هو الراجح إن شاء الله لأن الألفاظ العامة تبقى على عمومها حتى يوجد ما يخصصها اهـ، وذكرت المسألة بأبسط من هذا في كتابي المنتخب في شرح أوراد مرحب .

خاتمة: نسأل الله حسنها

اعلم أنه لا بد للعبادات وأنواع الطاعات من الأذكار وغيرها من الإخلاص فيها، وإرادة وجه الله تعالى بِها، وكذلك ينبغي حضور القلب لدى القراءة والأذكار، والآيات والأحاديث في الإخلاص كثيرة، وأقوال العلماء فيه غير محصورة، والإخلاص هو إرادة الأعمال الصالحة لوجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وامتثال أوامره، قال المليباري في هداية الأذكياء:

أخلص وذا أن لا تريد بطاعة إلا التقرب من إلهك ذي الكلا

والكلاء بكسر الكاف الحفظ.

وقال حجة الإسلام الغزالي في الإحياء: العمل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى، والإخلاص هو الصفاء من الشوائب كلها قال سبحانه وتعالى: {**من بين فرث ودم لبنا خالصا**} فخلوصُ اللبن أن لا يكون فيه شيء من الدم والفرث وبكل ما يمكن أن يمتزج به، وخلوصُ الأعمال أن لا يكون فيها شيء من الرياء والعجب أو حب الجاه أو اكتساب محمدة عند الناس أو التصنع لهم أو محبة مدح من الخلق ونحو ذلك مما كان معناه من كل ما يشوب الأعمال الصالحة فيفسدها أو ينقص ثوابِها ويكدرها اهـ.

وله درجات ثلاثة، أعلاها الإتيان بالأعمال الصالحة امتثالا لأمر ذي الجلال والإكرام، وهو إخلاص الصديقين، وأو سطها العمل للتنعم بدخول الجنان، والحور الحسان، والنجاة من النيران، وأهوال القيامة أعاذنا الله من شدائدها بفضله ومنّه، وأدناها العمل لحظ دنيوي كقراءة سورة الواقعة للغنى مثلا فهذه مراتب الإخلاص وما وراء ذلك ليس بمعدود من جملة

الإخلاص، وبالإخلاص يكون الخلاص، من شر الوسواس الخناس، قال الله تعالى حكاية عن إبليس: {**لأغوينهم أجمعين إلا عباد الله منهم المخلصين**} فاعترف العدو بأنه لا يتسلط على المخلصين، ولا يستطيع أن يغويهم، وهو لا يدخر في فتنتهم وإضلالهم وسعا يملكه وحيلة يجدها، وكان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول أخلصي تتخلصي، وليس الإتصاف بالإخلاص بسهل قريب، بل يحتاج إلى مزيد تشمير واستخدام ما لدى الإنسان من طاقة وقوة، وإلى التضرع إلى الله ومد أكف السؤال إليه، وتكرير طرق بابه الوسيع لنيل تلك الدرجة المنيفة، والمرتبة الرفيعة، فإن كثيرا من السائرين للوصول إلى الإخلاص نفد عنهم الزاد في الطريق قبل أن يظفروا بمقصودهم ذلك، فإن هذا يحتاج إلى بذل جهد كبير في تحصيل علوم دقيقة، ثم قمع النفس على تطبيقها والعمل بمقتضاها، وقد قيل: العلم بذر والعمل زرع ماؤه الإخلاص، وقيل لسهل بن عبد الله: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب، فالإخلاص منصب شريف لا يناله إلا ذوو الهمة العالية والعزيمة الصادقة.

وفي الرسالة للقشيري رحمه الله: أن سهل بن عبد الله صلى في بعض المساجد صلاة الجمعة ثم خرج منه ووقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون فقال: أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل.

وروى القشيري بسنده عن الإمام يوسف بن الحسين أنه قال: أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر اهـ.

فمعرفته صعب والعمل به أصعب، قال حجة الإسلام الغزالي في الإحياء معرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر، وهو المستثنى في قوله تعالى: {**إلا عبادك منهم المخلصين**} فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة للدقائق، وإلا التحق بأتباع الشيطان وهو لا يشعر اهـ.

لهذا صار عدد المخلصين قليل، ويقال: الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم .

وقد أقسم الجليل جل جلاله بأن الإنسان لفي خسر إلا ما استثناه من المؤمنين العاملين بالصالحات إلى آخر السورة فالخطر عظيم، ومن وراءنا يوم عصيب، تشيب فيه نواصي الأطفال، ففيه السلاسل والأنكال، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهل لنا إخوة الإسلام أن نتزود من الإخلاص، فإنه سبب النجاة والخلاص من دواهي يوم تتنافر فيه الأصدقاء والأحباب، ويلعن فيه بعض الأخلاء بعضا إلا إن كانوا من المتقين، وفضائله أكثر من أن تحصر فإنه سر من أسرار الله تعالى، فقد روى الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته بسنده عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟ قال سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي وهذا الحديث مسلسل، يقول كل واحد من رواته: سألت فلانا عن الإخلاص ماهو؟، وروى النسائي عن

مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائها، ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا تهتموا لقلة العمل، واهتموا للقبول، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل: أخلص العمل يجزك منه القليل، رواه الديلمي في مسند الفردوس وكتب بعض الأولياء إلى أخ له: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل.

وقال سيد الطائفة الصوفية علما وعملا أبو القاسم الجنيد: إن لله عبادا عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع اهـ

فالإخلاص مفتاح أبواب الخير كلها، وهو روح الطاعات، وبدونه تكون أشباحا خالية، قال ابن عطاء الله في الحكم: الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها، وأكمل الناس علما وأكثرهم إجتهادا للإخلاص هم الصوفية قدس الله أسرارهم، فإنهم أهل التدقيق والتحقيق في رقابة الأعمال ورعايتها، كما شهد بذلك الإمام المجتهد سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ بقوله: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقائق الرياء .

فانظر في أعمالك وأخرج منها الغش الذي يمنع رواجها قبل أن تفتضح في القيامة أمام الخلائق، فيقال لك: إن بضاعتك غير خالصة لا تغني ولا تنفع، فتندم حين لا ينفع التحسر والندم، وقد اغتر كثير فظنوا أنهم المخلصون وفي الحقيقة ما عرفوا الإخلاص، وظنوا أنهم العالمون بأنواع الرياء الظاهرة والخفية، فتراهم يعتقدون أنهم عن الرياء مجتنبون، وبالإخلاص

متصفون، فهم يحبون أن يحمدوا ويمدحوا بما لم يفعلوا فضلا عما فعلوا، قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام: ما الإخلاص من الأعمال؟ فقال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده عليه أحد، اهـ.

فمن رأى أنه من المخلصين فليعلم أنه عنهم بمعزل، فقد نقل الإمام النووي في بستان العارفين والغزالي في الإحياء والقشيري في الرسالة عن أبي يعقوب السوسي أنه قال: متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص، وفي الرسالة أيضا: أن أبابكر الدقاق قال: نقصان كل مخلص في إخلاصه رؤية إخلاصه.

فالذي ينبغي للحاضرين في حلق التسبيح ونحوها من مجالس الأذكار أن يجتهدوا في شئين: هما الإخلاص والتدبر، فبالإخلاص تصح العبادات وبدونه تصير هباء وسرابا، فلعل أمرأ يعبد ربه سنوات كثيرة ولا يحصل له من طاعاته طائل غير التعب والنصب وإضاعة الأوقات، بل قد ينعكس عليه الأمر فيستحق عقابا مما كان يرجو منه ثوابا، فتتمنى عند ذلك أن لا يكون لها فاعلا قط؛ لما يرى من وقوع الخسران ونزول العذاب عليه، وهذا من شؤم عدم الإخلاص في الأعمال .

وكان ممن أدركناهم رجال تغشاهم الرحمة إذا كانوا في حلق التسبيح، وترق أفئدتهم فتفيض من الدمع أعينهم، فلا يشك من رآهم أنهم أولياء الله وأصفياؤه، وتتأثر بكلماتهم القلوب، ويحبهم كل من لقيهم ونظر إليهم فيملكونه، ويهدي الله برويتهم من يشاء من عباده، فلهم مغناطيس يأخذون بها القلوب، ويصطادون بها المعرضين عن طاعة علام الغيوب، فيتوب على أيديهم كثير من الخلائق بوقوع أول نظرة منهم عليهم، أو

بسماع كلمة وكلمتين منهم، وليست تلك المغناطيس إلا الإخلاص والصدق في الأعمال، وعدم غفلتهم في ليلهم ونَهارهم عن ذكر ذي الجلال والإكرام، ولكن بعد تطاول الأزمنة تبدّلت الأحوال وتقاصرت الهمم، وتغيرت النيات وتفاقمت الأمور، فحسبنا الله ونعم الوكيل، فترى بعضهم لا يكترث بحقوق مجالس التسبيح من السكينة والوقار، والتضرع والخشوع والابتهال، بل يضحكون ويلتفتون الجوانب في بعض الأحيان، فيا أتباع أولئك السادة المكرمين المنتسبين إليهم، عليكم باقتفاء آثارهم واتباع نَهجهم، وإحياء طريقتهم، وعلينا وعليكم محافظة آداب مجالس التسيح واحترامها، واجتناب الملهيات مما يشغل القلوب ويجذب الخواطر السيئة، وليحرص الحاضرون في حلقة التسبيح بحضور القلب وتدبر الآيات التي تتلى عليهم، والأحاديث التي تذكر لديهم، والأذكار التي تطمئن بِها القلوب، وتقر بِها العيون، وترتاح بِها النفوس، وبالتدبر تتأثر القلوب وترق الأفئدة فتصفو وتستنير، فتصير أهلا لنزول الرحمة والسكينة عليها، وهبوط الأنوار والبركات، عليها فتتلألأ القلوب وينقشع عنها سحاب ظلماتِها، وأشرق لها شموس أنوار الأذكار وأقمارها، فتتعطر المجالس حينئذ ويفوح شذاها، وذلك بمسك الإخلاص والتدبر، فتتراكم عليهم الأنوار وتزدحم البركات، وتطير القلوب بأجنحة إخلاصها إلى حضرة محبوبِها ذي الجلال والإكرام، ويهيجها الشوق وخالص الحب إلى ارتقاء ذروة المعالي، فيصير لها كل صعب في طريقها سهلا، ويكون سهر الليالي واقتحام ظلماتِها وصيام النهار في أيام ارتفاع الحرارة إلى أعلى درجاتِها راحة لها وتنعما، وقد صدق القائل:

إذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذي فوق التراب تراب

فليس من شأنِهم الفشل والملل والوهن والفتور رزقنا الله تعالى بالاقتداء بِهم، والإقتفاء على آثارهم، والتمسك بأذيالهم، والاهتداء بِهديهم، والمجالسة معهم في زواياهم ومواضع اجتماعاتِهم، فإنِهم هم القوم لا يشقى بِهم جليسهم.

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وقد وافق الفراغ بتاريخ ١٤١٧/١١/١٧ هـ غير أحرف ألحقتها بعد ذلك .

المصادر والمراجع

التفسير وعلومه

جامع البيان للمفسر الكبير ابن جرير الطبري

تفسير القرآن العظيم للحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير

البحر المحيط لا بن حيان

حاشية الصاوي على تفسير الجلالين لأحمد الصاوي المالكي

حاشية الفتوحات الإلهية لإسماعيل الجمل العجيلي

غرائب القرآن للنيسابوري

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

المنح الفكرية للملا علي بن سلطان القاري

الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي

الحديث وعلومه

متن صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري

فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ العسقلاني

صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج

شرح صحيح مسلم للإمام النووي

السنن لأبي داود السجستاني

مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمي

الترغيب والترهيب للحافظ المنذري

الأذكار للإمام النووي

الفتوحات الربانية شرح الأذكار لابن علان الصديقي

مرقاة المفاتيح شرح المشكاة للملا علي بن سطان القاري

شرحي الجامع الصغير للحفني والعزيزي

اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة	للحافظ السيوطي
الفتاوي الحديثية	لابن حجر الهيتمي
تخريج أحاديث الإحياء	للحافظ العراقي
رياض الصالحين	للإمام النووي
دليل الفالحين شرح رياض الصالحين	لابن علان الصديقي
كشف الغمة عن جميع الأمة	للقطب الشعراني
تحفة الذاكرين	للشوكاني
المشكاة	للبغوي
كتاب الشكر	للحافظ ابن أبي الدنيا
الأربعين الأربعين	للنبهاني
فتح المبين شرح الأربعين النووية	لابن حجر الهيتمي
الفتوحات الألوهية شرح الأربعين النووية	للشبرخيتي
الحصن الحصين	للحافظ ابن الجزري
التقريب	لابن حجر العسقلاني
شرح أربعين النووي	للمؤلف الإمام النووي

الفقه وأصوله

المجموع شرح المهذب	للإمام النووي
إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي	إسماعيل ابن المقري
المغني	لابن قدامة الحنبلي
الروض الطالب	لإسماعيل علي ابن المقري
الروضة	للإمام النووي
فتح العزيز	للإمام الرافعي
تحفة المحتاج بشرح المنهاج	لابن حجر الهيتمي
نهاية المحتاج بشرح المنهاج	للرملي

إعانة الطالبين	للسيد البكري
ترشيح المستفيد	للسيد علوي بن أحمد السقاف
الرسالة	للإمام الشافعي
المنهاج القويم	لابن حجر الهيتمي
الفتاوي الفقهية الكبرى	لابن حجر الهيتمي
الفتاوي	للرملي
الحاوي للفتاوي	للسيوطي
قواعد الأحكام في مصالح الأنام	لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام

الأدب واللغة

لسان العرب	لابن منظور
مقاييس اللغة	لابن فارس
قاموس المحيط	مجد الدين الشيرازي
تهذيب الأسماء واللغات	للإمام النووي
النهاية في غريب الحديث والأثر	لابن الأثير
مختار الصحاح	للرازي

التصوف والرقائق

الاحياء في علوم الدين	للإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي
الرسالة	للإمام القشيري
الإبريز	لليسد عبد العزيز بن مسعود الدباغ
الحكم	لابن عطاء الله السكندري
الفتح الرباني والفيض الرحماني	للشيخ العارف عبد القادر الجيلاني
المس	للقطب الشعراني
إتحاف السادة المتقين	للمرتضى الزبيدي

عوارف المعارف	للإمام السهروردي
المنن الكبرى	للشعراني
تنبيه المغترين	للقطب الشعراني
رسالة الإدريسية	لمحمد اليمني
المنقى النفيس	لصالح الجعفري
بغية المستفيد	للشيخ محمد العزيز التيجاني

العقائد

بدء الأمالي	للأوشي
الشرح الصغير على أم البراهين	للسنوسي
حاشية الدسوقي على متن السنوسية	للدسوقي
جوهرة التوحيد	للإمام اللقاني

التاريخ والتراجم

طبقات الشافية الكبرى	لتاج الدين السبكي
تذكرة اللبيب	للشيخ علي ميه

النحو والصرف

ألفية ابن مالك	لابن مالك
المغني	لابن هشام

ثقافة عامه

سعادة الدارين	للنبهاني
كشف الشبهات	لمحمود حسن ربيع
لوامع البينات شرح أسماء الحسنى	لفخر الدين الرازي

التقاريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدر تجلى في دجى الليل مشرقا أم الشمس في أفق تبدت بلمعان
أم الروضة الغناء في أوج بهجة تأرجت الأرجاء منها بفوحان
وتلك لآل أم عقود مؤلف فرائد تزدري قلائد مرجان
لقد ضاء من نجم الهداة الأفاضل سراج كتاب لاح بالنور ملآن
أيا من يريد القرب والوصل والرضا حلول رحاب القدس حضرة ديان
فدونك بالتوضيح سفرا موضحا مسالك أهل الله في ذكر رحمان
موارد تسبيح وحمد وحكمة روائع وعظ فيه تروي لظمآن
جدير بأن تحوي الصدور سطوره فريد وفي ذا الباب ليس له ثان
بأسهل أسلوب كدر مرصع ودانى الجنى لقاطف كل أحيان
جلاء لأدران القلوب وحرزها لقاف هداه من مكايد شيطان
وفيه على ذي بدعة متمرد لباطله دحض بأبلج سلطان
جزاه عن التأليف خيراً إلهنا وعمم نفع السفر في كل بلدان
وبارك فينا عمره وجهوده كفاه من الأسواء والحاسد الشاني
وخص به يا رب نصرا مؤزرا وفتحا وأمدادا وأسرار عرفان
صلاة وتسليم على خيرة الورى محمد الهادي خلاصة عدنان
وآل هداة الخلق أهل المآثر وصحب له والتابعين بإحسان
متى فاه بالتسبيح أرباب حلقة غدوا وآصالا بمطرب ألحان

بقلم الشيخ عبد الناصر علي حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعوت بجميل الصفات، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الكائنات، وعلى آله وصحبه الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن بيضة الدين حتى رفع الله بِهم مناره .

وبعد: فقد اطلعت على نسخة من الكتاب المسمى بـ(التوضيح في شرح أذكار التسبيح) لأستاذنا الشيح عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود عافاه الله، وتولى عونه ورعاه، وبلغه في الدارين فوق ما تمناه، فعرضته على ذهني الكليل، وخاطري العليل، فإذا هو قد أتى بالعجب العجاب، من غير مرية ولا ارتياب، فقد قرّب ما نأي من أدلة أذكار التسبيح، وسهّل تناولها وأوضح ما خفي منها، ورفع عنها الحجاب بعد أن كانت مبرقعة بالنقاب، حين غفل عنها علماء الزمان برهة من الأوان، وكاد ينسحب عليها ذيل النسيان، حتى أتاح الله الفرصة المباركة لأستاذنا، وما رأيت أحدا حام حول هذا الموضوع، جزى الله شيخنا عن هذا البحث خير الجزاء في الآخرة والأولى، إنه ولي ذلك ونفع بكتابه المستفيدين .

وأقول له:

لقد أبلغت في الإحسان حتى ملأت محاجر الأحباب حسنا

بقلم الشيخ أبي بكر حسن مالم

متن التسبيح

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله.

قال الله تعالى {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمد مائة مرة، كتب الله له مائة ألف حسنة، وأربعا وعشرين ألف حسنة، وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عليكم بقول سبحان الله وبحمده فإنهما القرينتان .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كان أكثر من زبد البحر

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ألا أخبركم بأحب الكلام، قلنا: يارسول الله أخبرنا بأحب الكلام إلى الله، قال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله

.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده ألف مرة غرست له بها ألف شجرة في الجنة، أصلها من ذهب وفرعها در، وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد، كلما أخذت منها شيء عادت كما كانت أولا.

سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده

قال الله تعالى: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم:

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

قال الله تعالى: {نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال سبحان العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة .

سبحان الله العظيم وبحمده

وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع إليها بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

قال الله تعالى: {المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الملة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير،

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عليكم بخمس كلمات قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة أوراقها وهن من كنوز الجنة .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال لأصحابه ذات يوم: خذوا جنتكم، قالوا: أمن عدو حضر؟ قال: لا ولكن جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أحب إِلَيَّ مما طلعت عليه الشمس وغربت.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لقيت إبراهيم الخليل ليلة أسرى بي، فقال لي: يا محمد إقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الله تعالى {بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة .

قال الله تعالى {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل مائة فرس في سبيل الله أو غزا مائة غزوة في سبيل الله

قال الله تعالى: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا }.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: من قال الله أكبر مائة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل ممن عتق مائة رقبة من ولد إسماعيل .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

قال الله تعالى: {يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك القدوس العزيز الحكيم}

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ما من يوم يصبح العباد إلا نادى مناد أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس .

سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس

قال الله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يكثر بعد نزول هذه السورة بقول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة غفر له ذنوبه سبعين سنة .

سبحان الله وبحمده   أستغفر الله وأتوب إليه

فهرست الكتاب